هەوالنامەی کتێب

حسيرة

السرية العاشرة

مسيرة
السرية العاشرة

اوراق من القصة الوثائقية لبطولات
الانصار الشيوعيين في الثورة الكردية

هەواڵنامەی چەپ

كانت السماء الصافية تشع نجوما متألقة كالبلور . وكان الجو رطبا ، والنسمات الشتوية الباردة تلسع الوجوه برقة . كنا مجموعة من سبعين رفيقا ، نتسلل في ظلام موحش . نسير حذري الخطى ، او صامتي الوثبات احيانا ، نحو الطرف الشمالي من مدينة اربيل ، آملين الوصول الى المناطق الشمالية حيث تهيمن قوى الثورة الكردية . كان من بين جماعتنا السبعين ، ثلاثون مسلحا فقط ، اما اسلحتهم فبين مسدس او بندقية صيد او بندقية ميدان انجليزيه ، واكثرها قديم ، غير صالح للقتال الشاق . امامنا عقبات اولية : طوق من المواضع العسكرية ، ورمايا في العراء ، وفوق التلول ، وقرب الطرق والنواتم المطروقة . كان نجاح عملية المرور بين الرمايا ، يتطلب — بالضرورة — التزاما باقصى حالات ضبط النفس واليقظة معا . والى جانب هذا ، كانت الاوامر تقضي — عند اكتشاف الحراس مسيرتنا — باللجوء الفوري الى القتال ، وشق الطريق ، بهذه الوسيلة او تلك .

بعد ساعات مريرة ، تمكنا من اجتياز العوائق جميعها بسلام ، وهكذا طرقنا دروب الرعاة الضيقة ، فسلكناها باتجاه قرية مورتكه . كنا نحث الخطى ، رغم العناء والجوع ، نحو القرية . لقد خلفنا وراءنا الرفاق والاهل والاحباب ، زوجات وامهات واخوات وابناء واخوة ، عليهم ان يعيشوا في ظل الانقلابيين ، وان يتعرضوا للموت ايضا . كان على الجماهير ، وهي في محنتها ، ان تناضل ضد الفاشية ، وعلينا — نحن الشيوعيين — ان نتحمل العبء الاكبر . حاول بعض الرفاق التدخين ، ونحن في طريقنا الى القرية ، الا ان التوجيهات كانت صارمة .

هاهي ذي مسيرتنا توشك على الانتهاء : بقع ضوئية متناثرة بين البيوت الصغيرة ، ومع اقترابنا كلاب تنبح نباحا متواصلا ، وفلاحون خرجوا يستطلعون كعادتهم ، وكان بعضهم مسلحا .

صاح احدهم : من انتم ؟

وكان الرفيق « ل » في مقدمة المسيرة ، فأجاب : نحن اصدقاؤكم ايها الفلاحون .

وجاء الرد : مرحبا بكم ...

في طريق القرية الضيق استقبلنا عدد كبير من الفلاحين ، مرحبين بنا ترحيبا بالغا . وتم لقاء غير منتظر بين الرفيق « ل » ومسؤول المنظمة الفلاحية . كانا

(1) حدث هذا بعد مرور ثلاثة ايام على انقلاب شباط المعادي للشعب عام ١٩٦٣ .

يتحدثان همسا . وحينما بلغنا ساحة القرية كان امر ايوائنا قد سوي . وانقسمنا سبع مجموعات . كل مجموعة ومضيفها . في غرفة بمنزل الرفيق الفلاح ، مفروشة بالحصران والمطارح ، تحلقنا حول موقد النار (٢) المتأجج ، وفي ضوء الفانوس نظمنا جدولا بالحراسة الليلية ، بينما كان هواء الغرفة يتضوع برائحة التبغ (انها المرة الاولى التي ندخن فيها منذ مغادرتنا المدينة) . بعد قليل ، جاءت وجبة البرغل الشهية ، ثم الشاي ، فالتدخين ثانية . وشيئا فشيئا ، اخذ النعاس يغمض اجفاننا . بقي الحارس وحده . في نوبة حراستي استمعت الى راديو الترانسستر الصغير ، والسماعة ملصقة باذني . كانت اذاعة بغداد تردد البيان الجديد للحاكم العسكري العام (٣) : « اقتلوا الشيوعيين اينما وجدتموهم ، اينما وقعت اعينكم عليهم » .

منذ ثلاثة ايام ، وهذا البيان الاسود يعاد . الحملة الفاشية في اوجها . رفاقي ينامون مطمئنين . امرأة عجوز ما تزال ساهرة في الطارمة . في تلك الليلة سمعتها تبكي . كان الرفاق قد حدثوها عن قتل الرجال في المدن . لم املك نفسي . بكيت صامتا ، فمن الرجولة ان يبكي المرء في وطن يعذب . وتذكرت قولة الشهيد ، قبل الموت : « اذا كان الوطن عزيزا علينا ، فسيبقى كذلك الى الابد » .

في الصباح ، قدمت لنا صاحبة البيت اللبن والخبز والشاي . كانت تدفعنا الى الاكل دفعا « كلو حتى الشبع . . . ارجوكم » . وعلق على كلامها اضخم رفاقنا : « كل حسب طاقته » .

بعد الفطور ، قدم رفيق الارتباط ، ونقل الينا جملة معلومات ، ففي الليلة الماضية ارسلت القيادة مفرزة صغيرة الى « زوركه زراو » قرب مخمور ، لغرض استطلاع الوضع هناك ، وسحب الرفاق المقطوعين عن التنظيم ، الى كردستان (٤) . وفي الليل ايضا وصلت الى الرفاق رسالة حزبية تتضمن انباء غير سارة عن المدن . كان الانقلابيون مستمرين في عمليات الاضطهاد الشاملة .

وفي نهاية الاجتماع اخبرنا الرفيق ان جمعنا سيبقى يوما واحدا في مورتكه ، وان مسيرتنا التالية ستبدأ في الرابعة من صباح الغد .

قضينا ساعات النهار في البيت حينا ، وفي المقهى حينا ، وهكذا فعل رفاقنا في المجموعات الاخرى . وفي العشاء ، نمنا مبكرين . وفي الفجر ، في الساعة المحددة ، تحشدنا في ساحة القرية ، وكان عددنا قد ازداد ، بعد ان انضم الينا فلاحون من مورتكه .

قبل ان نبدأ السير ، صافحنا وعانقنا اهالي القرية مودعين ، ثم تحركنا متوجهين الى « لاجان » . كانت البيوت الطينية تختفي خلفنا شيئا فشيئا ، لكن ينبوع العزيمة

---

(٢) يستخدم الفلاحون في المناطق الجبلية موقدا مغلقا ، هو اسطوانة معدنية يتصل بها انبوب الدخان الذي يخترق السقف الطيني الى الاعلى .

(٣) نصب الانقلابيون اللواء رشيد مصلح حاكما عسكريا عاما ، وقد اعدم هذا في عام ١٩٧٠ بتهمة التجسس لامريكا . .

(٤) بعد مضي شهر على تاريخ ذهاب المفرزة ، عاد افرادها بدون قائدهم ، واخبروا الرفاق بفشل المهمة ، بسبب جبن آمرهم .

الذي امدنا به الفلاحون ظل معنا . الرفيق « ل » يتنقل بمحاذات المناضلين ، حانا ، مشجعا ، السير . . . السير الحثيث . كان يسير الى جانبنا ، سريعا ، محني الظهر، بسبب الروماتزم ، حتى ليضطر احيانا ان يبطيء ، تاركا الرتل يجتازه ، ثم يلحق بنا ، وفي احيان كثيرة كان يتوقف ليشعل سيجارته ، ثم يتابع السير مع احدنا .

وصلنا قرية « لاجان » . الفلاحون يملأون الساحة الصغيرة . عند المقهى هرعوا الينا مرحبين . وظلوا يرحبون بنا حتى بعد ان جلسنا على المصاطب الطينية :

ـ مرحبا بكم . . . وصلتم قريتكم .

فوجيء صاحب المقهى بعددنا ، فاسرع يطلب من الفلاحين عددا من القوارير (٥)، وكان عدد من الفلاحين قد اسرعوا الى بيوتهم ، حاملين الينا قدور اللبن المخفف . والتفوا حولنا ، متحدثين ، مهمومين . . . انهم يعلمون ان آمالهم ، ومكاسبهم الجزئية (٦) مهددة بحراب الانقلابيين . تكلم الرفيق « ل » معهم ، وبين بوضوح المخاطر الماثلة ، ثم قال في النهاية : « ان شعبنا لن يموت ، وسيواصل النضال ضد الارهاب ، حتى يحقق اهدافه النهائية ، من اجل وطن حر وشعب سعيد » . ثم تكلم الفلاحون بعده ، مبينين تعاطفهم وتضامنهم معنا ، وعبروا عن حبهم بطرائق مختلفة : يلفون لنا السجائر ، ويساعدون صاحب المقهى في حمل الشاي الينا ، بل لقد اهدى بعضهم مسلحينا مشط رصاص او مشطين . بقينا في المقهى وقتا ، وكان احد رفاقنا وهو ماهر في كسب الفلاحين ، ينظف سلاحه ، وحين اتم عمله التفت الينا قائلا : ـ تنظيف السلاح مثل استحمام الانسان . في الحالتين يبقى الجسم نظيفا .

وفهمنا انه يحث الفلاحين على العناية بالسلاح .

ـ ان كان لديكم سلاح عاطل فسأصلحه .

ابتسم الفلاحون ، واسرع غير واحد يجلب سلاحه العاطل . هكذا عرفنا ان في مجموعتنا خبيرا في السلاح (٧) .

حدث في « لاجان » ما حدث في « مورتكه » اذ توزعنا مجاميع على بضعة بيوت . في البيت الذي دخلناه ، لقينا استقبالا جيدا ، حتى ربة البيت كانت مستعدة لغسل ملابسنا المتسخة . لكننا لم نكن نملك غير ما نرتدي ، لذا قدمنا لها قطعتين غسيل فقط . كانت امامنا ساعات راحة مديدة قبل ان نشكل دائرة حول الرز والمرق ولحم الماعز المقلي ، ونشرب اللبن فالشاي .

هبط الليل على قرية « لاجان » .

ومع الليل ، اخذنا ننصت الى المذياع الصغير ، مارشات عسكرية تقرقع مزعجة جوفاء سوداء . كانت السلطة الدكتاتورية تحرض الوحوش على ارتكاب جرائم جديدة . وكان المذيع يردد بنبرات حاقدة « القي القبض على المجرم » او « اعدم المجرم » . . . وفي السجن و « قصور » التعذيب كان الجلادون يقتلون المناضلين .

---

(٥) براداتٍ خزف للشاي .

(٦) حصل الفلاحون بعد ثورة ١٤ تموز التحررية عام ١٩٥٨ على مكاسب تقدمية ، بينها تشريع قانون الاصلاح الزراعي .

(٧) استطاع هذا الرفيق ، فيما بعد ، ان يصنع لانصارنا مدفع هاون من انابيب الحديد المتيسرة .

وتساءل احد الرفاق :
ـ من اية طينة يأتي هؤلاء القتلة ؟
ويجيبه رفيق آخر :
ـ بالتأكيد لم يأتوا من طينة شعبنا .
قبل ان ننام ، جاء رفيق الارتباط ، وبلغنا اوامر القيادة :
« التهيؤ لمغادرة القرية في الخامسة صباحا » .
سألنا الرفيق عن الاخبار . لا جديد . لا شيء ، ولا خبر ، ايها الرفيق ؟ تردد ، ولم يجب . لكنه نطق اخيرا : استشهاد وجبة جديدة من الرفاق .
ـ لنقف دقيقة ، حدادا .
في ساعات الفجر الاولى ، غادرنا « لاجان » ، بعد ان ودعنا جميع الفلاحين ، متجهين الى قرية « بيستانه » . لم يبدأ الصبح اطلالته علينا ، الا بعد ان قطعنا شوطا من المسيرة ، فأخذت الاشياء تستعيد الوانها وملامحها الاليفة : السفوح والوديان والعشب والشجيرات . كنا نسير ، خفافا ، في صف طويل . واحيانا نشعر بالتعب يكاد يتغلب علينا . آنذاك ، كنا نضع امامنا ، وعلى امتداد النظر شبحا ، شجرة ، او تلا نعتبره هدف المسيرة النهائي . ولكننا بعد اجتيازه ، مرهقين ، نختار شبحا آخر ، وهكذا . اعتدنا ، ايضا ، رؤية الرفاق وهم يغادرون الصف طلبا للسجائر . كان بعضنا قد اشترى سجائره من دكاكين قرية « لاجان » بينما بقي القسم الكبير امينا لسجائر « اللف » لقد غدت سيجارة اللف ، فيما بعد ، صديقة الجميع في مجاهل الريف الكردي حيث يزرع التبغ الجيد .
ها هي ذي المرحلة الثالثة من المسيرة ... تنتهي . اننا في قرية « بيستانه » : اربعون بيتا يتوسطها مقهى ودكان . استرحنا في المقهى ، فجاءنا الفلاحون مستبشرين مستفسرين . كان المقرر ان نقضي في « بستانة » وقت استراحة قصيرا . لذا غادرناها في اليوم نفسه ، متجهين الى قرية « آخوره » .
انه الصف الطويل ثانية ، ورجالنا المسلحون موزعون على طول الرتل ، في المقدمة والوسط والمؤخرة . كان منظر الرفيق المسلح يثير في الاعماق مشاعر عديدة ، وخاصة لدى رفاقنا العزل من السلاح . وكان الرفيق المسلح يقول شيئا عميقا حين يمسك بسلاحه ، او ينقله من كتف الى كتف . لكن صفة الاعزل تماما اخذت تختفي ، بعد ان صنع الرفاق رماحا مدببة الرؤوس من الاغصان ، لشدة حاجة الى السلاح اولية منذ فجر الانسانية .

بعد ان تركنا « بستانه » شعرنا باننا نتوغل في مناطق نفوذ الثورة الكردية ، فلأول مرة ، واجهنا على الطريق ، رجالا مسلحين يسيرون في الاتجاه المعاكس لنا ، وحين صاروا بموازاتنا اخذوا يتطلعون الينا بنظرات جامدة . في تلك الايام كنا نحن وهؤلاء الاصدقاء ، في اوضاع متباينة كليا . فبينما كنا نعاني محنة مريرة ، كان الاصدقاء في ايام هدنة هيأها الانقلابيون . ومع هذا ، كان الرفيق « ل » يوصينا ، اثناء الجلسات التثقيفية خلال توقفاتنا في القرى او على الطريق ، بأن نتمسك بالخط السائب ونلتزم به ، ويطالبنا بأن نتصرف تصرفا يليق بالشيوعي تجاه الوطنيين الاكراد ، وان « نعاملهم بروح مبدئية خالية من الشوائب » . وبالرغم من ان العادة

المتبعة في تبادل تحية الطريق ، ان تبادر الجماعة الاقل سلاحا بتحية الجماعة الاكثر ، الا ان رفاقنا في الرتل هم الذين بداوا التحية ، فتقبلها الاصدقاء المارون برضى .

بلغنا قرية « آخورة » . ها نحن في ساحتها الصغيرة . الفلاحون يندفعون نحونا، ونساؤهم وفتياتهم الجميلات يرحبن بنا ، والاطفال يحومون حولنا مثل فراشات كبيرة ... كان الجميع يمدون ايديهم مصافحين في تظاهرة اخوة حميمة . اخترنا المقهى مكانا للراحة ، وشربنا الشاي ، وخضنا مع اهل القرية احاديث شتى .

عندما حان وقت الرحيل ، ودعنا الفلاحون ، وبدات المقدمة ، ثم تبعها الباقون ، نحو الطريق المؤدي الى قرية « داربسر » ، كانت الحقول على جانبي الطريق محروثة مهياة للبذار ، تحت زرقة السماء المشمسة . كانت خطواتنا تضرب الارض ، ومع كل ضربة كانت الحياة تتدفق في قلوبنا ، والبسمة تشيع على وجوهنا ، في وحدة رفاقية رائعة .

حين تركنا اربيل ، كانت مجموعتنا تضم رفاقا من اماكن مختلفة وحتى من مدن متباينة ... في تلك البداية كان تعارفنا محدودا ، اما الان ، وعبر الطرق التي قطعناها معا ، فقد وحدت بيننا رفقة عميقة كانت تتوطد منذ مغادرتنا مورتكه ولاجان وبستانه وآخوره ... وها نحن في الطريق الى داربسر . كان في مجموعتنا عاملان ، واربعة فلاحين ، ومعلمان ، وجندي هارب ، وتلميذ ، لكل منهم خصاله المتميزة . عندما قضينا ليلتنا الاولى في مورتكه غنى التلميذ ، وقبل ان ينام ، مقطعين من النشيد الاممي . في نهار اليوم التالي اخذ المعلم يرتو ملابسه . اما الفلاحون الاربعة فقد جلسوا ، مساء ، في زاوية ، مدخنين تبغهم بهدوء . وحين انسل افراد المجموعة ، الواحد تلو الاخر ، كي يناموا ، اخذ الجندي ينظف بندقيته بعناية ، ثم حشاها ، ووضعها تحت ثنايا فراشه ، ثم نام . المعلم ظل وحده ساهرا يقرا في كتاب صغير .

لقد نشا لدينا نمط حياة خاص . وحتى خلال المسيرة كان الرفاق يتمسكون بهذا النمط الذي اعتادوه : الجندي يسير في المقدمة ، فالتلميذ ، فالفلاحون ، فالمعلمان ، فالعاملان . واكتسبنا ، يوما بعد يوم ، صلابة المجموعة العسكرية ، في جيشنا الصغير .

وصلنا « داربسر » مبكرين . انها قرية من ثلاثين بيتا ، فيها دكان ومقهى ، ونبع في الزاوية الشمالية الشرقية من مربع البيوت . في الفسحة بين الدور استقبلنا الفلاحون ، رجالا ونساء ، بكلمات الترحاب . كنا متعبين ، الا ان هذا الاستقبال اعاد الينا حيويتنا . شربنا الشاي في المقهى ، ثم جرى توزيعنا على بيوت القرية . كانت الماشية تجتر طعامها فوق السفوح الوطيئة القريبة ، ويمتزج خوارها وثغاؤها باصوات البط والدجاج .

ذلك النهار قام الجندي بعمل لم يكن يخطر على بالنا اطلاقا . فلقد استدعى اولا ، الفلاحين الاربعة ، وانفرد بهم في زاوية الغرفة ، وجرى بينهم نقاش خفيض . ثم خرجوا من الغرفة وجلسوا مع رب البيت الذي كان في الباحة . راينا رفيقنا الجندي يتحدث مع رب البيت :

ـ نريد فؤوسا للحطب ، يا عم .

● في بيتنا حطب كثير .
— لم يعد الامر بيدي يا عم . هكذا قرر الرفاق .
● قرار ! ماذا يعني هذا ؟
— ان نستحم ، ونغسل ملابسنا .
● في هذه الحالة يلزمكم قدر ، وطشت ، وصابون ايضا .
— نشكرك يا عم ، حسبنا القدر والطشت . فلدينا صابون كثير . وقف الجندي امامنا ، بثبات ، ثم تكلم بصوت منخفض :
— لعلكم لا تعلمون ايها الرفاق . في الطريق اصابتني حكة . ظننتها شعرة لاصقة بصدري . لكنني اصطدتها . وكانت قملة كبيرة .
كان الجندي فتى يافعا ، لكن الرفاق اقتنعوا بكلامه . فوراء هذه الحشرات يكمن التيفوس القاتل .
ذهبنا جميعا الى النبع وراء الشجيرات . هناك غسلنا ملابسنا ، ثم اخذنا بالتناوب حماما ساخنا هو حمامنا الاول منذ غادرنا اربيل .
حين عدنا الى البيت ، وجدنا رفيق الارتباط ينتظرنا بصبر نافذ ، والقلق والانفعال على محياه :
— خلال وجودكم في النبع ، حاولت فصائل من انصار الثورة الكردية تطويق القرية ، لغرض تجريدنا من السلاح . وحالما علم الرفيق « ل » بهذه النوايا ، ارسل مفارز حماية الى اطراف القرية ، وامرها بالتصدي لاي عملية هجومية ، ثم جرى لقاء بينه وبين مسؤول حزب « البارتي » (٨) في تلك المنطقة ، واستطاع الرفيق « ل » اقناع الطرف الاخر بتلافي هذا الصدام بين حزبين يجمعهما النضال المشترك . وهكذا تم تجاوز الامر بسلام .

ثم تطرق رفيق الارتباط الى مسالة اخرى ، فتحدث عن وضعنا في المستقبل ، خاصة عن مسالة الارزاق والتموين . ولم يكن متفائلا . كان يردد كلمة الجوع والمجاعة والجياع ، حتى لقد احسسنا بالجوع حقا . ان كلمة « الجوع » غول ووحش ... اعترضت حياتنا في الايام والشهور التي تلت .
بعد ذلك نقل الينا الرفيق خبرا سارا : لقد استطاع الرفيق الميكانيكي ، الذي كان سباقا الى كسب ود الفلاحين في قرية « لاجان » ، ان يصنع مدفعا صغيرا مماثلا لمدفع الهاون / ٣ عقدة ، وهكذا استحدث رفاقنا صنفا جديدا في صفوفنا ، هو صنف المدفعية .
سنبقى يومين في « داربسر » .
في اليوم التالي انضم الى مسيرتنا رفاق جدد قادمون من كويسنجق ، بعد ان لبت منظمة القضاء طلب الرفيق « ل » تعزيز رتلنا . استقبلنا الانصار الجدد بحفاوة بالغة .
في الليلة الثانية من « داربسر » ، بلغنا اوامر القيادة : التهيؤ للمسير في الصباح التالي . في الوقت المحدد اتجهت جموعنا الى ساحة القرية ، وحين انت لحظة

(٨) النسبة المتداولة في كردستان للحزب الديمقراطي الكردستاني الذي قاد الثورة الكردية في العراق عام ١٩٦١ .

المسير ودعنا الفلاحون ، ثم سار رتلنا على الطريق المؤدي الى « كلكه سماق » ، وبعد ان قطعنا مرحلة ليست قليلة ، وصلنا الى نبع ، فتوقف رتلنا عنده للراحة ، ثم واصلنا المسير . في مرحلة الطريق الاخيرة ، كان الرجال في المقدمة ينشدون النشيد الوطني « ئازادي خوا » (٩) ، اما الرفاق العرب (وبينهم ضباط شيوعيون التحقوا بنا منذ البداية) فكانوا يتابعون النشيد متحمسين .

في تلك الايام كانت الدكتاتورية تعلن بوسائل اعلامها المختلفة « قضي على اخر شيوعي في العراق » ... اما نحن ، في تلك اللحظات ، فكنا نرفع صوتنا العالي ، شامخا ساميا ، تردده السفوح ، ولسوف تسمعه الشعوب ، واضحا صريحا ، معلنا ان رايتنا لم تقهر ، والها ستبقى خفاقة في الريح والمطر والشمس ... ويتوقف نشيد « دعاة الحرية » ، ليرتفع الغناء مع نشيد الاممية ... هبوا ضحايا الاضطهاد ... وليكتسب رتلنا حيوية متعاظمة في مسيرته ، المسيرة التظاهرة ، عند مشارف « كلكة سماق » .

في القاعدة فوق كلكه سماق

حين بلغنا قرية « كلكه سماق » متعبين جائعين ، واستقبلنا فلاحوها ، كانت مسيرتنا قد انتهت . فلقد تقرر اتخاذ هذا الموقع قاعدة مركزية للحزب . بعد ان اكملنا استراحتنا ، ابقى الرفيق « ل » عددا من الرفاق في القرية ، ثم قاد القسم الاكبر الى قمة الجبل المقابل للقرية ، والمسمى باسمها ، وقد استغرقت عملية تسلق المرتقى حوالي الساعتين . كان الصعود صعبا وخطرا ، بحيث اضطر الرفاق في المراحل النهائية الى الانحناء ، في توازن قلق ، يتقلنا مترا بعد آخر الى الاعلى ، نحو الذروة التي كانت تبدو لنا ، من الاسفل ، رمحا عريضا مغروزا في السماء .

وصلنا الى القمة المنشودة . كانت الارض ضيقة صخرية ، مستوية قليلا ، تنتشر فيها كتل صخرية بصورة فوضوية . بدا الرفاق يستطلعون الارض ، ويتمشون حول الصخور ، بينما اكتفى آخرون بالجلوس والتطلع .

عقدنا اجتماعا تحدث فيه الرفيق « ل » حوالي الساعة عن حزبنا وتاريخه النضالي ، وتطرق الى الظرف الراهن : « سنواصل النضال رغم المحنة ، وسيبني الحزب قيادته من جديد ... » (١٠) . «ارجو ان تفهموا ايها الرفاق اننا سنعاني من مشاكل ، ضعف الامكانيات ونقص التموين والتجهيزات ، لكننا بالصبر الثوري سوف نتخطى جميع العقبات ، واننا لواثقون من هذا ... لنهتف لمجد الشهداء وحياة حزبنا الشيوعي العراقي وحياة الشيوعية في العالم » وهتف ثلاثا ، ورددنا معه الهتاف ، فوق هذه القمة العارية تحت سماء كردستان .

بدانا نواجه المصاعب منذ يومنا الاول على القمة . في البداية وزعت مجموعاتنا على ربايا كان يشغلها في السابق فلاحون اصدقاء لحزبنا ، وهي عبارة عن جدران

---

(٩) يعني باللغة الكردية « دعاة الحرية » وتتسم كلماته بالطابع الاممي .

(١٠) كان من بين الذين استشهدوا في شباط ١٩٦٣ اكثر من عشرة من اعضاء اللجنة المركزية للحزب .

صخور مرتبة ومغطاة بسقوف واطئة ، وفي الجدران مزاغل للمراقبة ، اما ارض الربية فمفروشة بالحصران.وحدها . لم نكن نملك حتى لحافا واحدا ، دع عنك البطانيات او المعاطف . كنا نتعرض في تلك الغرفة الحجرية الى البرد بشكل مباشر، لكننا وجدنا في الموقد المنصوب وسط الربية ، وفي حطب الغابة ، سبيلا لمقاومة برد الشتاء القارس . ثمة ايضا مشكلة الطعام . تحملت كل مجموعة عبء تموينها من اسفل الجبل . كان مطبخنا الرئيس في القرية ذاتها ، بينما كانت عين الماء في السفح. لذا كان علينا ان نبعث خفرين : الاول للارزاق ، والثاني للماء . وكان عليهما ان يعودا الى القمة ومع كل منهما صفيحة بنزين سعتها ٤ غالونات من الماء . كان طعامنا اليومي يخضع الى تقنين صارم ، وقانا الموت جوعا . كان فطورنا في الصباح نصف قرص خبز . الغداء عشر ملاعق شوربة ونصف قرص . العشاء كالغداء . اما الشاي فنشربه ثلاث مرات ، مرا ، بطريقة « الديشلمة » (١١) .

المهم اننا هيأنا احتياطيا من البرغل والطحين والدهن والشاي والسكر .

خلال الايام التالية ، عقدت مجموعتنا اجتماعا حزبيا داخل الربية . اقترح الرفيق الجندي تخصيص ساعتين للعمل الالزامي يوميا في جمع الحطب من الغابة . المعلم اقترح الاستفادة الغذائية من ثمار الغابة ، وذكر جوز البلوط وبعض الحشائش الصالحة للاكل . العامل اقترح تخصيص يوم في الاسبوع للاستحمام وغسل الملابس . اما الرفيق الفلاح محمد امين فاقترح الاستفادة من مساحات الارض بين الصخور للزراعة الموسمية . اخيرا اقترح المعلم الآخر تنظيم مكتبة صغيرة . تمت الموافقة على المقترحات ، وخفضت ساعتا العمل الالزامي الى ساعة واحدة ، وفي نهاية الاجتماع عين مسؤول اداري للمجموعة ، ينتقل واجبه ، بصورة دورية ، الى جميع الرفاق ، بموجب جدول .

هكذا اخذت حياتنا في القاعدة تنتظم بصورة جيدة .

في الاسابيع التالية التحق بقاعدتنا عدد آخر من الرفاق ، وعلمنا منهم التطورات الجارية في المدن . فبالرغم من سيف الارهاب ، كانت وتائر النضال عالية ، وظلت قيادة الحزب في بغداد تعمل باشراف الرفيقين الشهيدين ، الحيدري والعبلي (١٢) . وجرت في المدن والمناطق اعمال بطولية قام بها شيوعيون وديمقراطيون واصدقاء للحزب .

حل يوم ٣١ اذار (١٣) ، فهيأنا منهاجا للاحتفال بهذا اليوم ، وجلسنا فوق الصخور ، في العراء ، وبعد ان تكلم الرفاق المسؤولون ، تصاعدت الاناشيد والاغاني . في ظهر هذا اليوم هيأ لنا المسؤول الاداري وجبة غداء لائقة . واستمر الحفل في الليل ايضا ، واختتم بالهتاف بحياة حزبنا والمجد للشهداء .

---

(١١) طريقة لشرب الشاي المر بواسطة قطعة صغيرة من السكر الصلب توضع تحت اللسان ، وبعد رشف الشاي يجرى معها ببطء .

(١٢) جمال الحيدري ومحمد صالح العبلي عضوا المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي اعدمتهما سلطة الانقلاب بعد انتفاضة معسكر الرشيد .

(١٣) ٣١ اذار يوم تأسيس الحزب الشيوعي العراقي في عام ١٩٣٤ .

خلال وجودنا في القمة ، استرعت انتباهنا كهوف طبيعية قليلة العمق ، فاقترحنا على القيادة تعميقها ، والاستفادة منها غرفا للسكن بدلا من الربايا . وافقت القيادة على ذلك ، فبدانا العمل ، وانجزناه في فترة قصيرة ، ثم جرى توزيع المجموعات على الكهوف ، واختير كهف متوسط مقرا للقيادة .

الرحيل الى سفين

كانت ايام القمة تمر بطيئة .

لكن الاحداث اخذت تتلاحق . فقد بدات العلاقات تتوتر بين قوى الثورة الكردية وسلطة الانقلابيين . وحركت السلطة العشرات من قوافل السيارات المحملة بالجنود الى السليمانية واربيل والموصل ، لتعزيز قواتها المرابطة في كردستان .

وكان حزبنا قد تنبأ ، استنادا الى طبيعة السلطة ، بان العسكريين الرجعيين لا بد ان ينسفوا الهدنة ويشعلوا الحرب بمن جديد . وقد حدث هذا فعلا .

في فجر احد الايام حلقت فوقنا ثلاث طائرات نفاثة مقاتلة . كانت على ارتفاع عال ، وبعد وقت قصير غيرت اتجاهها ، وبدات تنقض ، الواحدة بعد الاخرى ، على سفح يقع الى الشرق من موضعنا ، ثم مزقت الهواء اصوات اطلاق النيران ، وكانت الرشاشات الثقيلة في الجناحين تمشط السفوح والذرى بصليات مستمرة . كانت الطائرة الاولى تضرب ثم ترتفع ، وتاتي بعدها الثانية ، وتكرر العملية نفسها ، وهكذا الطائرة الاخيرة .

رغم ان الموضع المضروب كان بعيدا عنا ، الا ان جموعنا قامت بالانتشار ، مستفيدة من الصخور الكبيرة ، وظلت تترقب باستعداد كلي . وحين انتهت الغارة ظهر نشاط لم نعهده قبلا لدى الرفاق .

ذلك اليوم ، تاكدنا من انتهاء الهدنة ، واشتعال الحرب . وبعد يومين من غارة الطائرات تسلم الرفيق « ل » برقية من قائد اللواء الكردي في منطقه سفين تتضمن موافقة الثورة الكردية على مساهمة قواتنا في الحرب ، وبعدها بساعات اجرت القيادة اجتماعا عاما للرفاق جميعا ، وقف فيه الرفيق « ل » متحدثا :

« رفاقنا الاعزاء . بدات السلطة تشن حربها العدوانية مجددا في انحاء كردستان . وينحصر واجبنا في الوقت الحاضر بتوطيد وتوسيع علاقتنا بقوى الثورة الكردية ، والعمل لمصلحة الجماهير الكادحة بجميع تومياتها . وفي هذه الظروف العسيرة تبرز وسيلة النضال بالسلاح ، باعتبارها العملية المشروعة من اجل الدفاع عن مصالح وحرية الجماهير المخنوقة والمطوقة . واود اخباركم بان الثورة الكرديه اعلمتنا بموافقة القائد البارزاني مصطفى على مساهمة انصارنا في العمليات العسكرية بكردستان ، وسترتبط قواتنا ، بصورة اولية ، بقطعات قائد اللواء الكردي في سفين . هذه هي كل الانباء السارة » .

وما ان انتهى الرفيق من كلمته ، حتى تعالى هتافنا كالرعد .

بدا الرفيق « ل» يقرا اسماء الانصار المقرر ذهابهم الى سفين . ثم جرى تعيين المسؤول العسكري وآمري الفصائل والمجموعات . في فجر اليوم التالي تهيات

سريتنا لمغادرة القاعدة ، وبعد ان ودعنا رفاقنا ، شرعنا نهبط المنحدر الى الاسفل . وطوال هبوطنا كنا نلتفت بين فترة وفترة الى الخلف والى الاعلى ، فنرى اشباح الرفاق الباقين على القمة ، وهم يلوحون بايديهم لنا ، من البعيد ، تلويحات وداع .

بعد ان هبطنا ، سار رتلنا على الطريق المؤدي الى (باواجي) . وكنا خلال مسيرة الرتل نضع مسافة كافية بين رفيق وآخر ، تحوطا من الغارات الجويه . وكان مسؤولنا العسكري قد اوصانا منذ بداية المسيرة ، بالحذر ، وطلب منا في حالة مشاهدة الطائرات او دورانها فوقنا ، الاحتماء بالاشجار فورا . واصلنا المسير ، وبعد ساعتين وصلنا الى نبع تحوطه اجمة كثيفة ، فتوقف رتلنا ، وجلسنا هناك للراحة ، وتناولنا وجبتنا من الخبز والبصل ، وشربنا الشاي المر كالمعتاد ، ثم اخذنا ندخن بكسل .

ثم حان وقت المسير ، فنهضنا ، وكان رتلنا مرة اخرى ، على الطريق . وبعد ساعة سمعنا دويا آتيا من الجو ، وعندها صرخ اكثر من رفيق ، محذرا الرتل « طائرات ... طائرات » ، وبحركة غريزية التجا الجميع تحت الاشجار ، على جانبي الطريق . على ارتفاع عال ، مرقت فوق رؤوسنا طائرة قاصفة تحرسها طائرتان مقاتلتان ، متجهة جميعها الى اعماق المنطقة المحررة في كردستان . وبعد ان تلاشت اصوات محركات الطائرات ، تجمعنا على الطريق ، وسار رتلنا ، من جديد ، خطا طويلا من الرفاق ، متماوجا مع استدارات النيسم ، مثل نهر بطيء الجريان .

قطعنا المرحلة الوسطى ، ووصلنا الى « باواجي » . لم تكن « باواجي » هذه قرية او موقعا ، وانما كانت بيتا واحدا لا غير . الا اننا حين بلغناها متعبين جائعين وجدناها اعظم من قرية . كان من حسن حظنا ان صاحب هذا البيت المنفرد وسط الغابة ، صديق لحزبنا ، قدم لنا كل ما يستطيعه ، فاكلنا في العشاء وجبة برغل شهية ، ثم شربنا شايا محلى بالسكر . انها المرة الاولى التي نشعر فيها بالترف ، منذ وطئت اقدامنا قمة كلكة سماق .

في فجر اليوم التالي غادرنا باواجي ، سائرين على الطريق المؤدي الى منطقة سفين . بعد مسيرة ساعات ، بدت في الافق القريب جبال سفين المنيعة ، وحين لامست اقدامنا قاعدة الجبل بدا الدليل يقودنا عبر السفوح ، الى القاعدة الجديدة في « كاني جيز » (١٤) ، وبعد فترة وصلنا الى ذلك المكان ، حيث تنتصب شجرة جوز كبيرة تحتها العين ... النبع الصافي المتدفق من تحت الصخور . جلسنا حول النبع في فترة راحة طويلة . في اليوم التالي قرر الرفاق بناء غرفة تستوعب عددنا غير القليل . تم توزيع العمل ، وانهينا الشغل في ثلاثة ايام . ان وضعنا في المقر الجديد افضل مما كان عليه في القاعدة السابقة . الماء في متناول ايدينا الان . والطعام تحسن . ثم اننا اكتسبنا هنا في « كاني جيز » صفة ذات اهمية ، لقد اصبحنا نحمل اسم « النصير » بكل ما تثيره التسمية من معان وابعاد .

---

(١٤) تعني كاني جيز باللغة الكردية « عين الجوزة » نسبة الى شجرة الجوز القائمة فوق العين .

المعركـــة الاولى

بعد مرور اسبوعين على مرابطتنا في « كاني جيز » ، زارنا آمر اللواء الكردي، وكان اشيب ، متوسط القامة ، بشوشا . صافحنا جميعا ، ثم جلس بيننا ، يحيط به مرافقوه . استفسر القائد عن وضعنا وحياتنا اليومية ، فشرح له الرفيق ظروفنا ، وشكره باسمنا لكل المساعدات التي قدمها لنا . في الزيارة فاجانا المسؤول الاداري حين قدم للجميع شايا محلى بالسكر . تطرق القـــائد الى الوضـــع العســـكـــري في كردستان ، وبين ان قطعات السلطة بدات تهاجم المنطقة الكردية المحررة على امتداد الوية الموصل واربيل والسليمانية ، ثم تحدث عن لواء مشاة من الجيش السوري ، عبر الحدود العراقية قرب الموصل ، للاشتراك في الحرب ضد الشعب الكردي . وتطرق القائد بعدها الى الموقف الدفاعي لقوات الانصار ، معـــددا المعـــارك التي كانت تخوضها في اماكن متفرقة من كردستان . وحين انتهى الحديث العام ، انفرد القائد بالرفاق المسؤولين ، وعقد معهم اجتماعا ، ثم خرج بعد فترة ، وودعنا ، عائدا مع مرافقيه الى مقره .

في مساء اليوم نفســه ، وبعد العشاء ، عقد رفاقنا اجتماعا هاما في المقر . تحدث المسؤول السياسي اولا ، فبين ان سريتنا مكلفة (غدا) بعملية هجوم على ربايـــا الجيش الواقعة على امتداد سلسلة سفين من الجانب الاخـــر . وربط المســـؤول السـياسـي قضية فشل المهمة او نجاحها ، بعملية الاختبار التي ستقع عـــلى عاتقنا جميعا ، واختتم كلامه قائلا : « علينا ايها الرفاق ان نصون لقب الشيوعي ، وان نبرهن على جهاديتنا ، بكل شرف » .

ثم اشـار مسـؤولنا العسكري ، للالتفاف حوله ، وحين التممنا ، رسم القائد مربعا على الحائط ، ثم وضع امام احد اضلاعه ست علامات ، بموازات الضلع . وقال : « انتبهوا يا رفاق ... هذا المربع الصغير يشير الى مكان معسكر العـــدو ، وتحتله حامية بقوة فوج . اما هذه العلامات الست فهي ترمز الى اماكن ست ربايا انشأها العدو فوق السفوح . وحسب تقارير الاستطلاع توجد في كل ربية قـــوة فصيل من الجنود ، وستقوم قوتنا غدا ، بالهجوم على هذه الربية المنطرفة في اقصى اليســـار (واشار اليها) . توقف الرفيق المسؤول العسكري ، ثم كرر الوصف ثانية ، وبعدها اصبح كل ذلك ، مفهوما لدينا ، قال : « والان خطتنا هي كما يلي :

اولا ـــ نترك مقرنا في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وحالما نصل الربية تقوم مجموعة القنابل اليدوية والاسلحة الاوتوماتيكية (١٥) بالهجوم عليها ، وبعـــد انفجار القنابل يبدأ الانصار الاخرون بالهجوم والرمي .

ثانيا ـــ تقوم جماعة الاسناد بحماية الفدائيين (مجموعة القنابل اليدوية) لحين وصولهم الى الربية ، وتكون ايضا بمثابة احتياطي لكل القوة .

ثالثا ـــ يقوم مدفعنا (المحلي) بالرمي على المعسكر واشغاله عند بداية الهجوم داخل الربية ، ويستمر الرمي طيلة الوقت الذي تستغرقه المعركة .

---

(١٥) كل اسلحتنا الاوتوماتيكية كانت كلاشنكوفا واحدا .

رابعا ــ طريق الانسحاب هو نفس طريق التقدم ويجري الانسحاب بعد صدور الاوامر مباشرة » .

بعد أن انتهى المسؤول العسكري من شرح الخطة ، اعاد وصفها اكثر من مرة ، ثم التفت الى الجميع وقال : هل من سؤال ؟

استفسر احد الرفاق عن السبب في اهمال مشاغلة الرباياالخمس الاخرى ، فأجاب الرفيق المسؤول بان مشاغلتها ستتم من بعيد ، وبواسطة جماعة الاسناد . التي سترد على نيرانها بالمثل ، اضافة الى ان عملية الهجوم ستكون خاطفة ، خضوعا لمبدأ حرب الانصار (اضرب واهرب) تخلصا من ضربات العدو .

وقبل ان ينتهي الاجتماع سميت حظيرتان للهجوم واخريان للاسناد . ثم بدأت مباشرة ، الاستحضارات الاولية ، وعندها شاهدنا مدفعنا (المحلي) الصغير ، بعد ان اخرجه الرفيق المدفعي من كيس الجنفاص ، لتنظيفه . كان عبارة عن اسطوانة بطول مدفع الهاون / ٣ عقده تقريبا ، مغلقة من احد طرفيها وثقب هذا الطرف ، وعلى المحيط ، ثقب الى الداخل . وكانت عملية الرمي سهلة وغير معقدة . فبعد ان يوضع المدفع على قاعدته الحديدية ، يتم اسناده بثلاث ركائز ، ثم تعبأ الاسطوانة بكمية كافية من البارود ، وبعدها تعبأ بقنبلة مصنوعة من علب المربى الفارغة ، وبحجم مناسب لفوهة الاسطوانة ، وتملأ القنبلة بقطعالحديد الصغيرة والبارود . ثم يمرر في العلبة فتيل اشعال ينتهي بصاعق مدفون في اعماق مزيج قطع الحديد والبارود ، وحين تنتهي هذه العمليه يمرر في الثقب الموجود في محيط الاسطوانة فتيل فوري يتصل بالبارود ، وعندما يشعل هذا الفتيل يوصل الشرارة بدوره الى الحشوة (البارود) وتقوم الاخيرة بعملين في آن واحد . اشعال فتيل القنبلة ، ودفع القنبلة الى خارج فوهة السبطانة والى بعد مئات الياردات عن موضع المدفع ، ويستطيع المدفعي ايجاد المدى اللازم لسقوط القنبلة فوق الهدف ، وذلك بابعاد او تقريب الركائز الثلاث من القاعدة الحديدية .

انصرف الرفاق في الليل الى تأمين تدابير الهجوم الصباحي ، ثم استعدوا للنوم. لكن اكثر الرفاق لم يغمض لهم جفن . امامنا بضع ساعات قبل الحركة . جمرات السجائر تنير ظلمة الغرفة مثل نجوم صغيرة مبعثرة . واضح ان الرفاق يعانون من قلق وخشية . اخيرا غلبني النعاس .

ــ انهض انهض يا رفيق ، حان وقت التقدم .

نهضت واقفا . كانت الساعة الواحدة الا عشر دقائق . خلال وقت قصير استعد الرفاق للمسير . بدأت ساعة الصفر . تحركت الحظائر متقدمة نحو رباياالجيش . كان هواء ما بعد منتصف الليل شديد البرودة . حديد سلاحنا بارد الملمس كالثلج . الرفاق يدلكون ايديهم ببعضها طلبا للدفء . استمرت قوتنا تسير خلف الدليل ، وشعرنا بالحرارة تسري في اجسامنا . حين وصلنا الآخرون صارت المسافة التي تفصلنا عن الهدف في حدود ثمانمائة يارد . المسافة بين ربية واخرى لا تقل عن خمسمائة يارد . تقدمنا . ها نحن على مبعدة ثلاثمائة يارد من الهدف . هيء على الارض موضع مناسب لمدفعنا . الحظائر تفرقت لتنفيذ واجباتها .

قاد الرفيقان (ن) والعريف يونس واسطة محمد ، حظيرتي الهجوم ، وتسلق

الانصار السفح ، باتجاه الربية . كان الظلام الذي ما يزال مخيما عاملا مساعدا على التقرب الامين من الموضع المعادي . قبل ثماني ياردات فقط من الهدف اختبأ رماة القنابل اليدوية خلف الصخور ، واشعلوا سجائرهم استعدادا للعمل (١٦) ، ثم تقدموا مرة اخرى الى امام . كان في جدران الربية عدد من المزاغل والفتحات المخصصة للرمي والمراقبة . اقترب الانصار ، بهدوء وخفة ، وحين اصبحوا تحت الربية مباشرة اشعلوا فتائل قنابلهم ، ثم رموها عبر الفتحات ، الى داخل الربية . بعد مرور ثوان مزقت سكون الفجر المظلم اصوات انفجار القنابل . وفوجيء العدو. بينما بدات نيران بنادقنا تنهال على الربية ، وكان تداخل مدفعنا قد شرع هو الآخر بالرمي باتجاه المعسكر . كان يصاحب قنابله انفجاران ، الاول عند الاطلاق ، والآخر عند انفجارها على الارض ، والاخير عنيف شديد الدوي والصدى . استمر ضغط الانصار على الربية ، وسمع الرفاق القريبون من جدرانها صوتا يصرخ في داخلها مشجعا الجنود « لا تخافوا ، هذه عصابة ، وستهرب حالا حين يجري ضربها بالنار ». الا ان ضرب الانصار للربية هو الذي ازداد عنفا . فجاة بدات اسلحة الربايا الاخرى تطلق النيران علينا بخطوط كثيفة ، وكذلك شرعت دبابتان مرابطتان قرب المعسكر تطلقان نيران مدافعهما على السفوح القريبة منا، وباتجاه مدفعنا . هبت قوى الاسناد الى نجدتنا ، وخاضت مع الربايا الاخرى معارك تبادل النيران . وخلال تلك الضجة لم ينتبه الانصار الى عملية انسحاب الجنود من الربية المحاصرة . فحين اقتحمناها ، بعد ذلك ، وجدناها خالية حتى من القتلى . عند هذا الحد انتهت المعركة ، وصدرت الاوامر بالانسحاب الى الخلف .

خرجنا من هذه المعركة بلا خسائر ، عدا جريح واحد هو النصير ا.ج. الذي اصيب باطلاقة في كتفه سببت له جرحا غير بالغ . اما خسائر العدو فقد اخبرتنا مصادرنا في شقلاوة ، بعد اسبوع ، بانها كانت اثني عشر جنديا وضابطا بين جريح وقتيل . قدم اجتيازنا الامتحان الاول ، فوائد ، منها اكتساب انصارنا خبرة اولية في القتال ، وتعزيز موقفنا لدى قيادة الثورة الكردية ، والسمعة الطيبة في اوساط البيشمه ركه (١٧) . وبعد ايام وصلتنا رسالة تهنئة من مقرنا الحزبي في (ئاوه كرد). وكان قائدنا قد ارسل اليهم ، حال انتهاء المعركة ، رسالة تضمنت وصفا لمجرى العملية .

من المناسب الان ، استنتاج الدروس المستنبطة من مجمل المعركة الاولى ، ثم تشخيص النواقص التي كان بالامكان تلافيها ، توصلا الى نتائج افضل . لقد اعتمدت الخطة على المباغتة ، وهي احد المباديء الضرورية في القتال ، بغية السيطرة على المبادأة وارباك العدو والاستفادة من الوقت ، ومن اجل الصيانة ايضا . نجح الانصار في تامين هذا العامل ، ووصلوا الى الربية دون ان يثيروا انتباه نقاط المراقبة في الربية الهدف ، وبقية الربايا كذلك . ثم جرى في الخطة تقسيم العمل ، فانقسم

---

(١٦) كان الرفاق يصنعون هذه القنابل اليدوية من علب المربى الفارغة التي تملا بقطع الحديد المسنن والبارود ، ويتم تفجيرها بواسطة اشعال فتيلها المتدلي بصاعق .

(١٧) تعني بالكردية ، الانصار ، وهي تسمية خاصة بالانصار التابعين لقوى الثورة الكردية .

الانصار الى جماعتين ، جماعة الهجوم ، وجماعة الاسناد ، وهذا ايضا تدبير جيد من اجل تأمين الحماية الخلفية ، وصيانة جماعة الهجوم من التطويق ، وصد اي هجوم مقابل تقوم به قطعات العدو الاخرى . والامر الآخر في الخطة هو توقيت رمي المدفع (المحلي) واعطاؤه واجب المشاغلة ، وقد تم هذا بصورة ممتازة ، الا انه كان يجب ان يعطى المدفع واجبا آخر ، هو تأمين نار الازعاج ، وتحويل اتجاه سقوط القنابل الى الربايا الاخرى كي تكون النتائج افضل ، بينما انصبت قنابله على المعسكر وحده ، وتطلب هذا من الرامي (المدفعي) وقتا ثمينا من اجل ايجاد المدى اللازم لاسقاط القنابل فوق المعسكر ، وكان هناك نقص بارز في اختيار موضع المدفع اذ لم يكن محميا من النيران المباشرة ، وحالما كشفته نقاط المراقبة في المعسكر حاولت تدميره جاهدة ، ونجحت في مسعاها ، ونجا المدفعي وحده باعجوبة ... كما لم تتجاوز رميات المدفع ست قنابل .

بعد هذا ، يمكن التطرق الى الصفحة الاخيرة من الخطة ، اثناء سير العملية ، فقد كان فيها بعض النقاط الغامضة التي اربكت الانصار في حينه .

كانت ثمة ثلاثة حلول تنتظر جماعة الهجوم وهي : ابادة العدو بواسطة القنابل اليدوية (غير فعالة) ، اقتحام الربية بعد تفجير القنابل مباشرة ، محاصرة الربية وانتظار استسلام افرادها . كلا الحلين الثاني والثالث غير قابل للتطبيق ، ذلك لان اقتحام الربية ، بعد عملية تفجير القنابل ، ليس عملا سليما . لقد كانت الربية مقسمة من الداخل الى جيوب محاطة بالجدران . صحيح ان رمي القنابل الى داخلها، وفي المرة الاولى ، فاجأ افرادها وقضى على بعضهم ، الا ان اكثرية الجنود بقيت سالمة ، ومستعدة ، ان لم يكن للقتال ، فللدفاع عن النفس وحسب . وقد حدث هذا فعلا ، وسمع الانصار في وقته تشجيع الامر للجنود « لا تخافوا ، هذه عصابة ، وستهرب ... الخ » ، وكان ذلك دليلا على صحة هذا الراي . اما عدم جدوى الحل الثالث ، فسببه ان الوقت لا يسمح باطالة القتال لئلا يتعرض الانصار الى الابادة من قبل القطعات المعادية الرئيسة .

بقي بعد هذا ، الحل الاول ، وكان يجب سلوكه بلا تردد ، واختزال صفحتي رمي القنابل واقتحام الربية ، الى صفحة واحدة فقط ، هي تحديد وقت لاغراق الربية بالقنابل ، والانسحاب بعدها مباشرة . وسوف تكون النتائج الحاق اكبر خسارة ممكنة بالعدو ، بتدبير محكم ، وباقصر وقت . ان مبررات وقوع مثل هذه الاخطاء هي ان العملية بمجملها كانت تجربة اولى .

مهمة سرية في شقلاوة

بعد المعركة الاولى ، بقينا مدة بلا عمل ، عدا واجب واحد عهد به الى الرفيق اسطة محمد واثنين من الانصار . وعلمنا عندها انهم كلفوا بالذهاب الى شقلاوة (١٨)، ثم عادت المفرزة ، بعد بضعة ايام ، بكامل عددها .

---

١٨) بلدة صغيرة كانت خلف خطوط الجيش والمرتزقة .

دفعنا الفضول الى تدبير خطة صغيرة ، كي نعرف ما حدث في تلك السفرة السرية. وضع الرفيق المعلم (س) الخطة ، فذهب الرفيق (الجندي) الى احد افراد المفرزة ودعاه الى وجبة طعام اضافية . لبى النصير الدعوة . وحينما جاء كنا جالسين قرب شجرة الجوز ، والنار تشتعل امامنا ، ونحن نشوي ثمار البلوط الجافة ، جلس النصير ، واخذ يقشر معنا البلوط ويأكل .

قال الجندي للنصير : يقولون ان شقلاوة مدينة جميلة وكبيرة ، اهذا صحيح ؟

اجاب النصير : بصراحة ، لم نشاهد منها شيئا ، كان تجوالنا فيها ليلا .

وسأله الجندي : الم تأكلوا هناك شيئا (وضحك) حتى الشبع ؟

رد النصير مبتسما : اكلنا حتى الشبع .

— وسأل الجندي : شوربة ايضا ؟

— ثمن ومرق ودجاج .

— هكذا ... مرة واحدة ؟

— لا ، في اليوم الاول ، قادنا الرفيق اسطة محمد الى بيت احد الاصدقاء ، وهناك تغدينا : الثمن والفاصولية واللبن ، ثم شربنا الشاي المحلى بالسكر ، بلا حساب . وفي العشاء كانت وجبتنا دجاجا ، وحين حل الليل خرجنا من الدار ، وذهبنا ...

— الى اين ؟

— القصة من اولها الى آخرها ، انه كان في شقلاوة شقاة متعاونون مع السلطة يعتدون على الناس ويضربونهم ويهينونهم ويفرضون عليهم الاتاوات ، وحين ضج الناس من امر هؤلاء ، اخبرت المنظمة الحزبية ، قوتنا ، بالمسألة ، فعهدت القيادة الى الرفيق اسطة محمد واثنين من الانصار مهمة الذهاب الى شقلاوة ومعاقبة هؤلاء الشقاة . وصلت مفرزتنا الى المدينة ، فجرا ، واختفينا في بيت احد الاصدقاء ، ومع هبوط الليل ، خرجنا للعمل ، وذهبت مفرزتنا الى بيت احد الشقاة ، ففتح الرفيق اسطة محمد الباب بضربة واحدة من قدمه ، ودخلنا ، فرأينا الشقي نائما ، ومع الضجة هب من نومه مذعورا ، فاسرعت زوجته ووقفت بين اسطة محمد وزوجها ، دفعها اسطة محمد ، ثم قبض على الشقي ، واوسعه ضربا حتى ادماه وطرحه ارضا ، وراح الشرير يبكي ويطلب الرحمة . قال اسطة محمد وقد توتر طرفا شاربيه : لن تنجو من يدي ايها النجس .

اخذ الشقي يمسح بشفتيه احذية الانصار ، وقال بصوت منهار : اقبلوا توبتي ، ساكون بعد اليوم رجلا صالحا . قال اسطه محمد : قد اقبل توبتك ايها القذر ، شريطة ان تغادر هذه المدينة الى الابد .

قال الشقي بسرعة : ساغادرها ... ساغادرها ، امهلني فقط الى الصباح . عند ذلك التفت اسطه محمد الينا ، وطلب ان نفتش الدار ونصادر المال الحرام . عثرنا على بندقية ، واستولينا على ثلاث بقرات في حوش الدار ، ثم غادرنا المنزل ، وعدنا بغنائمنا الى بيت ذلك الصديق حيث اودعناها ، وخرجنا ثانية لمداهمة بيت شقي آخر ، لكنه لم يكن موجودا ، فعدنا الى دار الصديق ، في اواخر الليل ، مخترقين شارع المدينة الرئيسي ، وكان ليس في المدينة عشرات العسس ورجال الدوريات .

هجوم على مرتفعات ميراوه

بعد مرور اسبوعين على المعركة الاولى ، ذهبت مفرزة استطلاع ، من قوتنا ، الى مرتفعات ميراوه ، وعادت في اليوم نفسه . في المساء اقيم اجتماع عام للانصار تحدث فيه مسؤولنا السياسي عن اهمية التعاون مع انصار الثورة الكردية (البيشمه ركه) ثم تكلم مباشرة عن المهمة التالية لقوتنا ، وهي القيام بعملية هجومية على مرتفعات ميراوه ، وقال اخيرا « كلنا امل ايها الرفاق في ان نخرج من التجربة الثانية مرفوعي الراس تحت الراية » .

صفق الانصار طويلا ، ثم بادر المسؤول العسكري الى عمل منضدة رمل مبسطة، وشرح لنا خطة الهجوم كاملة . كان يوجد في مرتفعات ميراوه عدد من ربايا الجاش (١٩)، المرتزقة ، محمية بقطعات الجيش ايضا . وكان قائد اللواء الكردي قد قرر اشراك فصيلين من البيشمه ركه الى جانب قوتنا ، وكلف هذه القوة بالهجوم على عدد من الربايا .

في الساعة الثالثة من صباح اليوم التالي تحركت قوتنا خلف الدليل الى ميدان المعركة الثانية . وفي نهاية المسيرة شرعت المجموعات تطبق خطة الهجوم على الربية الهدف ، وقاد الرفيق اسطة محمد مجموعة الاقتحام . اخذ الانصار يقتربون من الربية بخفة الفهود ، وقبل الوصول اليها اشعلوا سجائرهم للاحتفاظ بالجمرة متقدة للاشعال، ثم واصلوا التقدم ، وعندما اصبحوا تحت المزاغل قربوا الجمرات من فتائل القنابل واشعلوها ، ثم رموا بقنابلهم الى الداخل ، عبر الفتحات . مرت لحظات ... ثم تفجرت القنابل محدثة دويا هائلا ... بعدها ، مباشرة ، هجم الرفاق الآخرون ، وبدات اطلاقاتنا تخترق منافذ الربية ، وخلال هذه المعمعة الصاخبة ، ووسط ازيز الرصاص ، كان اسطة محمد يضغط بكتفه ، وبكلتا يديه ، على جدار الربية ، محاولا تهديمه على من فيه . وحين رآه الانصار هبوا لنجدته واستطاعوا ان يزعزعوا الجدار ، فانهار مرة واحدة ، واحدث سقوطه دويا عاليا ، وتصاعد تراب كثيف فوق الربية ، كالضباب ... حينذاك اخذ المرتزقة الباقون على قيد الحياة يفرون من الربية المهدمة تلاحقهم نيران الانصار ، وبعد هذا بدات ربايا الجيش ترمي نيرانا بخطوط كثيفة كانت تمشط المنطقة المحيطة بنا .

صدرت الاوامر بالانسحاب ، وعادت قوتنا الى قاعدتها في « كاني جيز » . وكان قائد اللواء الكردي قد ارسل في نفس اليوم ، الذي وقعت فيه المعركة الثانية ، مفرزة الى ميراوه ، لغزوها ومعاقبة المرتزقة . وقد نجحت المفرزة في مهمتها ، واستولت على مئات الرؤوس من الماشية ، وعادت بها الى مقر اللواء .

يمكن القول ان معركتنا الثانية كانت ناجحة ، فقد خرجنا منها دون ان نقدم خسارة ، حتى ولا جريحا واحدا ، وبالمقابل كانت خسائر العدو اربعة قتلى (شاهدهم رفاقنا بعد اقتحام الربية) ، وجريحين (اخبرتنا منظمة المدينة بوجودهما

---

(١٩) اطلق الشعب الكردي نسبة خاصة على المرتزقة ،الاكراد المتعاونين مع السلطة تسماهم (الجاش)، معنى هذه الكلمة باللغة الكردية (الجحش) .

في المستشفى) ، فيكون مجموع خسائره ستة ، بين قتيل وجريح .
بعد المعركة الثانية تنامى نفوذ قوتنا ، وتعالت سمعتها بين البيشمه ركه والجماهير الكردية ، ثم وصلتنا رسائل تهنئة من القاعدة الحزبية الجديدة في « ئاوه كرد » (٢٠) ومن المنظمات العاملة في منطقتنا . هكذا بقينا « مرفوعي الرأس تحت الراية » ، كما قال مسؤولنا السياسي .

مسيرة العطش

في اواسط آب ١٩٦٣ قررت قيادتنا وضع كمائن في طريق القوافل العسكرية بين اربيل وراوندوز ، على الشارع الرئيسي ، وانيطت هذه المهمة بقيادة الرفيقين « م » و اسطه محمد . تحركت حضائرنا في المساء ، عبر سفين ، الى قرية « مامه جه لكه » ، لكننا خشينا تعرض الفلاحين الى اجراءات انتقامية ، بعد الاحتمالات التي عرضها الفلاحون ، لذا الغت القيادة تلك العملية ، تضامنا مع الفلاحين ، وعدنا الى قاعدتنا .

في اواخر آب نفسه جرى تعزيز قوتنا بعدد آخر من الانصار الجدد ارسلتهم الينا القاعدة الحزبية في ئاوه كرد .

وقبل ان ينتهي الشهر وضعت قيادتنا خطة لعملية هجومية نتعرض فيها الى قافلة عسكرية كانت تقطع الطريق بصورة دورية من اربيل الى راوندوز . ففي نهاية كل شهر كانت عشر ناقلات او اكثر تحمل الجنود المجازين العائدين الى وحداتهم مع مواد التموينات الشهرية للقطعات . وكانت الخطة تقضي بأن تكمن قوتنا على جانب واحد من الطريق ، وحالما تصبح القافلة بموازاة مجموعاتنا ، نبدأ بالرمي ، ومن ثم يجري تطويق القافلة باسرها والاستيلاء عليها . وروعي في الخطة ايضا الابتعاد عن القرى المحاذية للطريق لئلا يتعرض السكان ، بعد العملية ، الى انتقام السلطات وارهابها .

في اليوم المحدد تحرك رفاقنا فجرا ، وبعد مسيرة ثلاث ساعات وصلنا الى الشارع الذي ستمر عليه القافلة ، فعبرناه الى الجهة الاخرى ، ثم جرى توزيع حضائر الانصار على الكمائن المختارة ، وبقينا ننتظر . كنا نعرف ، من استطلاعات سابقة ، ان مرور القافلة يتم قبل ساعة الظهر . كان الرفيق اسطه محمد يقود الانصار في الجناح الذي يستقبل الناقلات عند مجيئها ، وكان الرفيق « م » يقود مجموعة الوسط ، بينما كان الرفيق العريف يونس يقود المجموعة في الطرف الاخر . كنا مختبئين ، وبغتة سمعنا ضجيج احتكام دواليب دبابات بالارض . وضغط الرفيق اسطه محمد على اسنانه وهو يهمس غاضبا : « دبابات ... فشلت الخطة » .
لم نكن نتوقع الدبابات ، كما لم يرد هذا التوقع في خطة القيادة المعقدة على

---

(٢٠) بعد رحيلنا الى سفين ، نقلت القاعدة الحزبية الى « ئاوه كرد » واتخذها الرفاق قاعدة رئيسة وتعني ئاوه كرد بالكردية : ماء النل ، نسبة الى وجود عين ماء فوق الجبل .

معلومات استطلاع سابق تشير الى عدم مرافقة الدبابات للقافلة .

يحدث في مجرى اي عملية عسكرية ، تحوير في خطة القيادة ، تبعا للتطورات الواقعة ، الا ان هذا التحوير كان مستحيلا بالنسبة لحالتنا ، اذ كان دخولنا في معركة ضد الدبابات ، يعني قبل كل شيء ، ابادة رفاقنا في عملية انتحارية ليست ذات نتيجة . لم تكن بحوزتنا قاذفة ضد الدروع . لم تكن أرض الشارع ملغومة . الارض حولنا منبسطة تقريبا . اقرب المواقع الينا : التلول والسفوح الجبلية ، كانت تبعد عنا حوالي ٣ كيلومترات . كنا ، اذن ، بالنسبة للدبابات ، صيدا هشا ، سهل المنال .

كان هدير محركات الدبابات يعلو اكثر فأكثر . اللحظات دقيقة وثقيلة . ثم جاء القرار . لقد تبنى المسؤول العسكري قرارا حاسما وسريعا ، وصدرت اوامره بانسحاب المجموعات الفوري ، باتجاه جبل حرير . كان هذا القرار يعني الابتعاد عن مقرنا في « كائي جيز » ايضا ، اذ لم نكن نجرؤ على عبور الشارع مرة اخرى ، للأسباب السابقة . بدأنا ننسحب باتجاه (حرير) . وحالما اصبحنا في خط مجاري المياه الشبيه بالساقية الجافة ابتعدنا تدريجيا عن مواقع الخطر الماثلة في الخلف . ظللنا نمشي اكثر من ثلاث ساعات اخرى ، واحسسنا في النهاية بالتعب والعطش . ان المرء ليتعب ويظمأ وهو يسير بصورة اعتيادية ، فما بالك بحالتنا نحن ! اصيب عدد من رفاقنا ضعاف الاجسام بحالات اغماء . وصاروا في حاجة ملحة الى العناية.

لم يشرب الانصار ماء منذ اكثر من ثماني ساعات ، ولم يكن لدينا ماء احتياطي ، بعد ان افرغ الانصار زمزمياتهم ، خلال الانتظار في الكمائن . سارع الرفاق الذين كانت لديهم بقية طاقة وتحمل الى نجدة الرفاق الآخرين ، ومددوا فاقدي الوعي في الاماكن الظليلة ، وراحوا يعيدون اليقظة اليهم . في تلك الجبال كنا مثل التائهين . اقرب قرية الينا تبعد سبعة او ثمانية كيلومترات ، اي ساعتين مشيا . لم نكن لنستطيع الحركة.

لقد تلاشى نشاط اجسامنا تدريجيا . كنا نمتص شفاهنا ذات المذاق المر ، وكان اللعاب كثيفا كالصمغ ، والرئات لا تكاد تنفث الزفير . جلودنا محمومة تفرز العرق الغزير ، وجباهنا تنضح بلا توقف . كان النصير حين يزيح بابهامه حبات العرق من جبهته ، ويرى القطرات تتساقط على الارض الجافة ، يتذكر عذاب سجناء قطار الموت الرهيب (٢١) ، وكيف تعرقوا وقتها بعد ساعات من حرقة عطش مضن قاتل، كيف خلعوا ملابسهم الداخلية المبلولة بالعرق وعصروها فوق افواههم وحصلوا على قطرات مما افرز الجسد .

سقط الرفيق العريف يونس مغمى عليه ، امامنا ، ولم يعد يستطيع مواصلة السير ، فهرع اليه بعض الرفاق ، واعادوه الى اليقظة ، كما سقط رفاق آخرون .

---

(٢١) بعد فشل انتفاضة الجنود « في معسكر الرشيد » التي قادها الشهيد حسن سريع عام ١٩٦٣ بادرت السلطة الفاشية الى نقل السجناء الشيوعيين من بغداد الى سجن نقرة السلمان الصحراوي . ووضع الجميع في عربات الشحن الحديدية ، واغلقت عليهم الابواب (في الصيف الحار) وخلال الطريق سقط العشرات مغمى عليهم ، واستشهد واحد بسبب العطش . وهذا ما عرف في العراق باسم « قطار الموت » .

كان بعضنا يواصل سيره حالما يستيقظ ، بينما يبقى آخرون في اماكنهم ، ومعهم بعض الرفاق للعناية بهم . اخيرا ، وياعجوبة ، وصلنا الى المرتقى . كان مسؤولنا العسكري وهو دليلنا ، يقول بين وقت وآخر « سنجد الماء . انه قريب » . كان بعضنا يعتبر كلامه نوعا من رفع المعنويات والحث على السير .

عندما اقتربنا من الجدار الصخري توقف دليلنا ، وقال بصوت منحه كل الطاقة المتبقية « مكانكم يا رفاق ... ها هي ذي العين ! » . تجمع الرفاق القريبون منه ، وساورهم الشك ، حين لم يروا للماء اثرا ، فظنوه قد فقد رشده عطشا . هبط المسؤول الى حفرة ، ثم انحنى باركا على ركبتيه في قاعها ، وبعدها اختفت راحتا يديه كلتاهما في باطن الجدار ، برهة ... ثم اخرج يديه مملوئتين بماء صاف رقراق . لقد انقذنا الرفيق .

لو صرف اي رجل عديم الخبرة ، اياما وشهورا ، بحثا عن تلك العين فوق جبل حرير ، لما استطاع العثور عليها . كانت تبدو مجرد حفرة جافة ، الا ان المرء حين يهبط الى قاعها يرى في اعماق الارض الصخرية حفرة اخرى يجري ماء العين السحرية فيها ، باردا ، صامتا .

ملانا عددا من الزمزميات ماء ، وارسلت الى الرفاق الماكثين في الطريق . وبعد ان ارتوينا ، جلسنا نتطلع الى الكنز الدفين ، العين اللقية .

ثم التم شملنا ، وعاد الرفاق (المتعبون) بعد اسعافهم ، وجلسوا معنا يتفكهون . امضينا الليل فوق الجبل ، وفكر الرفيق اسطه محمد بالقيام بعملية هجومية على ربايا المرتزقة البعيدة بمسيرة اربع ساعات ، لكن الاقتراح رفض ، بسبب انهاك الانصار .

في صباح اليوم التالي ، هبطنا من القمة ، واتجهنا الى منطقة (دولي هروتيان)، وعند اول قرية استقبلنا الفلاحون مرحبين ، وكنا نعاني جوع يومين ، وقد اغرقنا الفلاحون بكرمهم ، عندما علموا اننا شيوعيون .

وفي اليوم نفسه ، عدنا الى مقرنا في كاني جيز ، متعبين فقط ، لا جياعا . لذا رحنا في سبات عميق ، ما عدا الحارس ، ولم نستيقظ الا فجر اليوم التالي . وكان النهوض المبكر الزاميا على الانصار ، لصيانتهم من القصف الجوي . لم يكن الامر تحوطا فقط ، اذ كانت الطائرات تحوم طيلة النهار في عملية تفتيش ، وتنقض على السفوح والقمم ، وتصليها بالنيران ، ولم تكن تنجو حتى الحيوانات منها ، ففي احيان كثيرة كانت الطائرات تحصد قطعان الماشية العائدة الى الفلاحين وتغربلها بالرصاص ، وتحولها الى فطائس ، وكان قائدو الطائرات المقاتلة يستخدمون رشاشي الجناحين بكل ضراوة وقسوة ، ومثل صقور جائعة مجنونة كانوا يهاجمون السكان، وهم عارفون بعدم وجود الاسلحة المضادة للطائرات ، بينما كان هناك دور آخر للطائرات القاصفة التي كانت تلقي حمولتها من القنابل في الاماكن التي سبق استطلاعها بالتصاوير الجوية ، او بواسطة الجواسيس والعملاء . وكانت هناك وفرة من السلاح والعتاد لدى السلطة ، فمدفعية العدو لم تكن لتهدأ ، ورميها كان مستمرا ، وكانت نار الازعاج تنصب على مساحة واسعة لغرض الارهاب فقط ، ولم يكن العدو ليجرؤ على التقدم ما لم يستخدم سلاحه الجوي اولا ، ثم المدفعية .

ثم تتقدم قطعات المرتزقة ، وهو يزحف خلفها .
في قطاعنا لم يقم الجيش بعملية مضادة . لكن الطائرات والمدفعية كانت تقوم بازعاجنا كلما تسنى لها ذلك .

وداعا يا كاني جيز

بعد ايام من مسيرة العطش ، تسلمت قيادتنا برقية ، مرسلة من قيادة الثورة الكردية ، وكانت تنص على وجوب انتقال قوتنا الى منطقة (راوندوز — بيشي — جبل حسن بك) ، وبناء على هذا الامر تهيأت سريتنا لمغادرة كاني جيز . في البداية ، حين علم الانصار بذلك ، كان الامر عسيرا عليهم ... كان عسيرا عليهم مفارقة الاشياء العزيزة التي الفوها ، وصارت ملازمة للمسرة : البناية ، النبع ، شجرة الجوز ، سفوح سفين .
وحينما تحرك رتلنا سائرا على الطريق ، ظلت عيون الانصار ، وقلوبهم ، تتلفت، في حنين طاغ .
واصلنا المسير بسرعة وسطية . وكان من المقرر ان نلتقي ، في نهاية المرحلة الاولى ، بقوات آمر اللواء الكردي ، لنسير القوتان ، معا ، الى المنطقة الجديدة .
في نقطة على الطريق ، تم التقاؤنا بتلك القوة ، فعلا . وكان قائدها معهما ، واستقبلنا افراد البيشمه ركه بترحاب ، وانتشرنا نحن ايضا بين الانصار الاشقاء ، نحدثهم ونستمع لاحاديثهم بمودة والفة ، وعندما حان موعد الرحيل تابعت القوات مسيرتها الى امام .
كان الوضع العسكري في منطقة (حسن بك — روست) بالنسبة لقوى الثورة الكردية سيئا للغاية . كان الموقف برمته لصالح قوات الجيش والمرتزقة المسيطرين على طول الخط الواصل بين (جبل حسن بك وسه‌ريبه‌ردي) ، الممتد سلسلة جبلية واحدة ، شمال حوض راوندوز . وكانت قطعات من الجيش قد زحفت الى شمال ذلك الخط ووصلت الى روست لغرض عزل منطقتي بهدينان وسوران عن بعضهما ، وقطع خطوط مواصلات الثورة في تلك المنطقة الحيوية التي تشكل القاعدة المركزية للثورة .
عندما شعر ، البار زاني مصطفى ، بحراجة موقف قطعاته ، امام زخم قوى الجيش والمرتزقة المندفعة الى قلب القاعدة الرئيسية ، بادر الى تعزيز القوات الموجودة في المنطقة ، وهي التي كانت منشغلة بعمليات دفاع غير مجدية ، بادر الى تعزيزها بقطعات الانصار من الجبهات الاخرى . كان هذا هو الوضع السائد في منطقة (راوندوز — بيشي — جبل حسن بك) قبل وصولنا اليها . فور التحاقنا بمنطقة راوندوز اصبحت قواتنا بامرة قائد آخر هو آمر لواء منطقة بالك (٢٢) . وفي حينه جرى وداع مؤثر للقائد السابق شارك فيه الجميع وفاء لمواقفه الطيبة تجاه قوتنا .

---

(٢٢) لئلا يختلط الامر او يحدث التباس ، نذكر ان التسميتين كلتيهما « منطقة بالك » ومنطقة (راوندوز — بيشي — جبل حسن بك) تخصان منطقة واحدة ضمن قضاء راوندوز آنئذ .

استفـــزازات

في احلك الظروف ، واشدها حراجة ، كانت بيانات الحـــزب تصلنا ، بواسطة المراسلين الحزبيين ، وكنا بدورنا نقراها بعناية . في منطقة راوندوز قدم الينا احد الرفاق مع رزمة ، فاستقبلناه بالترحاب ، وبعد ان سلـــم البريـــد الى المســـؤول السياسي ، مدد جسمه المتعب على الحصير ، ثم وضع سيجارة في فمه . واشعلها ، وبدا يدخن . ثم شرع يهمس بعصبية : تصوروا ... هؤلاء يضربوننا ... لماذا ؟ وسأله رفيق كان جالسا قربه : ماذا حدث ايها الرفيق ؟

التفت نحوه واجاب : كلما مررنا في الطريق اعترضنا احد المسلحين ، واجـــرى تحقيقا طويلا عريضا ، يسال « الى اين انت ذاهب ؟ » فابرز له وثيقة عدم التعرض. ثم يكرر السؤال ... فاقول له : انا ذاهب الى سرية الانصار . ويسال مرة ثالثة « اية سرية ؟ » ، واعلم مراده فاجيب « الى سرية الشيوعيين » ، ويسال مرة رابعة وماذا تحمل ؟ « ماذا تحمل ؟ » فاجيبه « ليس هذا شغلك » ، ثم اراه يرفع يده ليضربني ، فاقول له « حذار ان تفعل هذا ، فنحن رفاق في السلاح » ... تصوروا ... هؤلاء يضربوننا ... لماذا ؟

كانت تصدر مثل هذه الاستفزازات بحق رفاقنا ، وكان الجناح اليميني في الثورة الكردية يؤجج في صدور البيشمه ركه الاشقاء هذا النمط من العلاقات . وفي احيان كثيرة كانت المنظمات الحزبية في المدن ترسل رفيقا مع صندوقه من الادوية التي تحتاجها في الميدان . وكان الرفيق الشجاع القادم الينا ، يغامـــر بحياتـــه عشرات المرات ، خلال عبوره خطوط الجيش والمرتزقة ، وحين يصبح في الارض المحـــررة ويتنفس الصعداء ، يلاقيه فجاة واحد من اعضاء او انصار الزمر اليمينية ، ويصادر الرزمة ، ويترك الرفيق خالي الوفاض .

كان الحزب بدوره ، يقدم الاحتجاج تلو الاحتجاج ، على هذه التصرفات وامثالها. وفي كل مرة كان قادة الثورة يعتذرون للرفاق ، ويتعهدون بعدم تكرار هذه التصرفات، مستقبلا . ولكنها تتكرر على الدوام وباشكال مختلفة .

الذين يفعلـــون المعجـــزات

بعد ان مضت ايام على التحاقنـــا بمقرنا الجديد في منطقة راوندوز ، وضعت قيادتنا بالاتفاق مع آمر لواء المنطقـــة ، خطة للهجوم على ربية منفردة في تلـــول (كردي عمر آغـــا) .

وفي اليوم المعين ، قبيل الفجـــر ، سارت جموعنا بخطى حثيثة نحو الهدف . كان مقدرا لقوتنا الصغيرة ان تقوم بدور البطل امام الجماهـــير الكرديـــة والاف البيشمه ركه ، مليئا لتقييم تشبثت به افكار الناس . وكان يسبقنا الى الاماكن التـــي نبلغها ، والى العيـــون التـــي نراعـــا « الشيوعيون يفعلون المعجزات » . هكذا قدر للحياة ان تملي علينا شروطها ، بمثابه امتحان قاس لصحة وجدية المبادىء التـــي تقودنا الى النضـــال . كان علينا من اجل ذلك ان نتحدى العقبات بقلب غير هياب ،

وان نصون لقب الشيوعي في وطننا ، وان نصمد بوجه جميع المضادات للحياة الانسانية : العذاب والجوع والبرد والمرض ... كان على الحياة ، قبل شروق الشمس (هذا اليوم) ان تقودنا الى تجربة اخرى .

رتلنا يتقدم . خطى رفاقنا تسمع بشكل غير منتظم . احيانا ترتطم قدم رفيق فجاة بصخرة ...

وصلنا منطقة الهدف ، فتوقفت جموعنا قليلا ، ثم شرعت الحضائر تنفذ الخطة . وكان الرفيق اسطه محمد يقود حضيرتي الاقتحام ، بينما يقود الرفيق العريف يونس المجموعة المتبقية . تقدم الانصار نحو الربية المعادية . انجزت جماعة الرفيق اسطه محمد واجبها بسرعة وكتمان . وطبق ذات الاسلوب السابق في دخول المعركة . وعندما انفجرت قنابل الانصار اليدوية داخل الربية . ارتفعت لعلعة الرصاص . وكنا نرمي الاطلاقة ونسحب الترباس الى الخلف (٢٣) . ثم ندفع اطلاقة جديدة في السبطانة . ونرمي مرة اخرى . لم نكد نصل الى رمي الاطلاقة الرابعة حتى تفجرت الارض حولنا ببراكين النيران ، وانصبت علينا دفعة واحدة . نيران مختلف الاسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة ، ومن ست ربايا لم نكن داخله في الحسبان . فوجيء الرفاق بمعركة غير متكافئة ، كانت بمثابة كمين اوقعنا فيه تقارير الاستطلاع الناقصة . صدرت الينا الاوامر بالانسحاب باتجاه هسنان . قاتلنا بضراوة ، وابدى الانصار ثباتا بطوليا ، حتى تم لنا التملص من ابادة محققة . ونجونا باعجوبة . ثم اصبحنا خارج مدى النيران المعادية . وفي نقطة تجمع خلفية بدانا نفتقد رفاقنا . كان رفيق مجموعتنا الفلاح محمد امين حصاري مفقودا . انتظرنا مجيئه . بعد دقائق لاح في الافق القريب شبح يمشي مسرعا . اقترب فرايناه الرفيق اسطه محمد . وقبل ان يقف بيننا قال بصوت اجش : انتم يا رفاق ؟

جلس على الارض . وظل صامتا . انتابه سعال . وبعد ان هدأ نكس راسه ، وقال بأسى : اذهبوا .. لا تنتظروه ... لقد سقط رفيقكم شهيدا .

مرت لحظات . ثم انفجر بعض الرفاق باكين . كان شابا في الخامسة والعشرين . رفيقا شاركنا الحياة والنضال . وانطبعت خصاله في نفوسنا ، انطباع الكلمة الطيبة .

لقد خسرنا في هذه المعركة شهيدين . الشهيد الاخر هو العم حسين ، الانسان الصديق للحزب . ودليل القوة الماهر . العدو خسر بدوره عددا من القتلى .

بالرغم من ان نتائج المعركة الاخيرة لم تكن لصالحنا بشكل بارز . الا ان قوتنا اصبحت موضع اعتزاز وثقة البيشمه ركه وقيادة الثورة . والجماهير ايضا . وساعدت هذه السمعة الطيبة في الاسراع بذوبان الجليد الذي كان يقف حجر عثرة في طريق العلاقات بين حزبنا والقوى الاخرى الممثلة في الحزب الديمقراطي الكردستاني وقيادة الثورة الكردية وقادة البيشمه ركه . وكان طبيعيا بعد ذلك ان تظهر الدعوة الى

« ٢٣ » في البنادق القديمة يجري التعريغ والاملاء بواسطة اليد والترباس ، وكان مخزن البندقية يتسع « حسب نوع البندقية » الى خمس طلقات او عشر .

تعاون اوسع بين الطرفين .

الجراة .. راية فوق القمة

بعد معركة كردي عمر اغا باسبوعين عقد امر اللواء الكردي اجتماعا في مقره حضره امرو السرايا . وكان من بينهم مسؤولنا العسكري ايضا . طرح القائد قضيه احتلال قمة حسن بك . وكانت قوات كبيره من العدو تحتل الجبل . قوبل هذا الطلب بالصمت . وعندما كرر القائد عرض القضية ابدى الامرون عجزهم التام عن انجاز مثل هذه العملية ، مبررين ذلك بجسامة القوات الموجودة فوق الجبل . انتهى القائد من مناقشة آمري السرايا ، واوشك ان يغلق الموضوع ويلغي العملية برمتها . لكنه التفت الى مسؤولنا العسكري ، وسأله قائلا : وانت يا اخ ، ما رايك ؟

وقتها ، نهض الرفيق القائد من بين الجالسين ، واجاب بهدوء : نحن نقوم بهذا الواجب .

اثار القرار الجريء دهشة الحضور وخجلهم . وافق آمر اللواء ، واخذ يتطلع الى الحاضرين ، منتقلا ببصره من واحد الى آخر ، في نقد صامت لكل آمري السرايا . واخيرا قال : نشكركم يا اخ ، بلغ سلامي الى انصاركم .

عاد الرفيق مسؤولنا العسكري عجلا ، واخبرنا بالعمل المنتظر : الهجوم على جبل حسن بك واحتلال قمته العصبة . وشعارنا : الجراة .. راية فوق القمة .

كان حسن بك جبلا ، واي جبل . فبالاضافة الى وعورة تسلقه ، كانت فوقه مجموعة ربايا تبلغ الثلاثين ، يحتلها حوالي ثلاثمائة مسلح من الجنود والمرتزقة .

كانت عملية الاحتلال تتطلب الاستناد الى خطة في غاية الدقة ، وتحتاج الى جراة نادرة . حسابات المقارنة بيننا وبين العدو متفاوتة الى حد لا يصدق ، فمقابل نصير واحد منا ، ثمانية من الاعداء . ومقابل بنادقنا المتباينة القديمة والمستهلكة ، اسلحة الجيش الاوتوماتيكية الحديثة . الااننا كنا نمتلك كلاشنكوف واحدا . والاهم من كل شيء كنا نمتلك رجالا اشداء .

وضعت قيادتنا الخطة التالية لاحتلال جبل حسن بك :

اولا : اختير ثمانية فدائيين بقيادة الرفيق اسعد محمد ليكونوا جماعة الهجوم الاولى ، وهم حملة القنابل اليدوية والاسلحة الاوتوماتيكية (كلاشنكوف واحد) .

ثانيا : حالما تقوم الجماعة الاولى بالضرب ، يجري الهجوم على مجموع الربايا من ثلاث جهات . الجناحين والخلف ، وبمعدل فصيل من الانصار لكل جهة . بعد ان تدربنا على الخطة ، بدات مسيرتنا في فجر اليوم التالي . اتجهنا نحو السفوح ، ثم اخذنا نتسلق المرتفى . كنا لا نكاد نسمع وقع خطواتنا ، فقد اعتمدت خطتنا على تأمين عامل المباغتة . هكذا واصلنا الصعود ، دقيقة بعد اخرى ، وبعد مرور ساعتين اصبحنا على بعد مائة يارد من الربايا . ولم تكن للعدو نقاط مراقبة خارج الربايا ، وهو امر كنا نعرفه . تقدم الرفيق اسعد محمد مع الانصار الثمانية الفدائيين لينفذوا القسم الاول من الخطة . وتقدمت خلفهم فصائلنا ببطء . بدا الرفاق

الفدائيون يزحفون تارة ، ويقفزون فوق الصخور تارة . كنا نراقبهم من الخلف ، وقلوبنا تنبض قوية ، استعدادا للعمل الاتي.توقف الرفاق الفدائيون ثم اشعلوا سجائرهم وهيأوا الجمرات لاشعال فتائل القنابل البدوية ، وواصلوا الزحف ثانية ، حتى اذا اصبحوا تحت مزاغل الربايا الامامية اشعلوا فتائل قنابلهم ورموها خلال الفتحات الى الداخل . وبعد مرور ثوان هزت القمة اصوات الانفجارات المتتالية ، واثر ذلك مباشرة شرعت الفصائل تهاجم المواقع المعادية . وبدا الانصار يقتحمون الربايا ؛ الواحدة تلو الاخرى . وبلغت مجموعتنا الربية الاولى ودخلتها ، وكالعادة كان الرفيق (الجندي) في المقدمة ، وجرى داخلها قتال عنيف بجميع الوسائل : الاطلاقات والاخامص والابدي . وحوصر الرفيق المعلم (س) في الزاوية ، وكاد العدو يقضي عليه لولا شجاعة الرفيق (الجندي) الذي هب لنجدته في الوقت المناسب ، فاطلق النار ، وقتل عدوا ، ثم قفز على الاخر واسقطه على الارض بضربة اخمص . استطاعت مجموعتنا ان تطهر الربية وتحتلها ، ثم اخذت مقاومة العدو تنهار ، واحتل الانصار جميع الربايا ، وفر من العدو من استطاع ذلك ، بينما سقط العديد منهم قتلى وجرحى ، ووقع بعضهم اسرى ، وتم لقوتنا الصغيرة احتلال القمة المنيعة لجبل حسن بك .

احسسنا نحن الانصار بفرح الانتصار الذي حققناه بأعجوبة ، ودفعنا ثمنه ايضا ، فخلال المعركة سقط الرفيق الياس نجار شهيدا ، وفقدنا كذلك نصيرا آخر في اسفل الجبل ، اما العدو فقد خسر ثمانية قتلى وثلاثين جريحا وثلاثة اسرى .

حاول العدو في ساعات ما بعد المعركة القيام بهجوم مقابل لاسترداد القمة ، وشاركت فيه مدفعيته وطائراته ، الا انها كانت محاولة فاشلة ، ورد العدو على اعقابه ، وبقيت القمة بايدينا .

نتج عن احتلالنا لقمة حسن بك ، فك الحصار عن قطعات الثورة واعادة خطوط المواصلات الى وضعها السابق . وبعد هذه المعركة البطولية ازدادت شعبية حزبنا بين الجماهير ، وجرى تثمين انتصارنا على لسان احد قادة البيشمركه ، عندما علق على نتائج المعركة قائلا : « انني وجماعتي لم نكن نجرؤ على الذهاب بالاسلحة التي بيد الشيوعيين ، حتى الى صيد الخنازير ، فكيف استطاعوا احتلال الجبل ؟ »

بعد يومين من وجودنا فوق القمة استطعنا التخلي عن رفيقين ارسلناهما ليرافقا الاسرى الى المقر الخلفي . وبعد عودتهما الينا في اليوم نفسه قص علينا الرفيق (ل) وقائع الحوادث الطريفة مع الاسرى « رافقت والرفيق (الجندي) الاسرى الى المقر ، وكانوا خلال الطريق يسيرون امامنا فوق القمم مسرعين مرتعدين من الخوف ، وفي كل مرة كان الرفيق الجندي يطلب منهم السير ببطء ، يلتفتون الى الخلف ويرددون باحترام وخشية (نعم ... نعم) . وعندما وصلنا الى المقر ظلوا واقفين ينظرون حولهم بعيون زائغة . اقترب منهم احد الرفاق المسؤولين وقال لهم « مرحبا بكم ، اجلسوا ، استريحوا » . في البداية ظهرت الدهشة على وجوه الاسرى ، ثم انفرجت شفاههم ، وابتسموا بقلق ، وجلسوا قرب الرفاق ، ثم قدمنا لهم السجائر فاخذوها وراح احدهم يبحث عن علبة كبريت في جيبه ، فسارع الرفيق المسؤول واشعل سجائرهم الواحد بعد الاخر ، فرفعوا ايديهم بالتحية . قال

الرفيق المسؤول : « نحن نحترم الاسرى »واضاف « الجنود هم ابناء شعبنا » وقال جندي اسير « كلنا ابناء الوطن » . جاءالرفيق (الجندي) بالطعام ووضعه امام الاسرى . وعلق احد الرفاق قائلا « ها قدحصلت على زملاء في المهنة » ، ورد الرفيق الجندي : السنا نحن الجنود ابناء الفقراء ، العمال والفلاحين ؟

قال هذا وجلس امام الاسرى وراح يشجعهم على الاكل : كلوا حتى الشبع ، انتم في ضيافة الحزب الشيوعي العراقي . عندها فتح الاسرى عيونهم واسعة .

قال الرفيق الجندي : كلوا ، لا تصدقوا الاكاذيب . وقال احد الاسرى : صحيح والله ، ما نعرف شيئا ، جزاهم الله .

في اليوم نفسه ، نقل الاسرى الى مقر اللواء تمهيدا لضمهم الى بقية الاسرى الموجودين لدى قيادة الثورة الكردية .

ستبقى رايتنا حمراء

لم تمكث فوق قمة جبل حسن بك طويلا ، فبعد اقل من اسبوع على احتلاله وضعت قيادتنا خطة لاحتلال جبل رنبوك الواقع في وسط السلسلة الجبلية (حسن بك ــ سه ري به ردي) ، وقبل تنفيذ عملية الهجوم على المرتزقة المتحصنين في القمة علموا بنوايانا فتركوا الجبل بدون مقاومة ،وانسحبوا الى الطرف الاخر من السلسلة ، الى جبل سه ري به ردي ، وسارعت فصائلنا واحتلت قمة رنبوك بدون اي جهد ، عدا متاعب الصعود .

بعد احتلال قمتي حسن بك ورنبوك بقيت في حوزة العدو القمة الاخيرة من السلسلة الجبلية (حسن بك ــ رنبوك ــ سه ري به ردي) . وكان انجاز احتلال سه ري به ردي يؤمن للثورة الكردية خطا دفاعيا متينا امام الوصول الى القاعدة المركزية . ويؤمن كذلك صيانة جيدة لخطوط المواصلات الرئيسية بين منطقتي بهدينان وسوران .

قررت قيادتنا ، بالتعاون مع البيشمه ركه ، تطهير السلسلة المذكورة باكملها ، وذلك بالهجوم على سه ري به ردي واحتلاله بعملية مباغتة .

وكانت خطة الرفاق كالاتي :

اولا ــ تامين عامل المباغتة اثناء تسلق المرتقى نحو القمة والى الربايا .

ثانيا ــ ضرب ربايا العدو من جهة اليسار ، وبقوة فصيلتين .

ثالثا ــ يبقى فصيل في الاحتياط ، ويقوم في الوقت نفسه بواجب الاسناد لفصيلي الهجوم .

في يوم الهجوم ، وقبل بزوغ الفجر ، تقدمت طلائعنا نحو السفوح ، ثم اخذت تتسلق المرتقى بكتمان شديد . وقتها ، كان معنا عدد من الرفاق بلا سلاح ، وكانوا مزودين بالرمانات اليدوية فقط ، يتقدمون وعيونهم معلقة الى القمة ، بينما كانوا يحدثون انفسهم « سنحصل على السلاح من العدو » . ظلت المجموعات مستمرة في الصعود ، واخذ جهد التسلق يدفيء اجسادنا فلم نعد نشعر ببرد الفجر القارس .

على حين غرة اصبحت الحضائر على بعد مائة يارد من الربايا المعادية ،

وشرع الرفاق يتخلصون من الرصد ،متجنبين نقاط المراقبة داخل الربايا . وتوقع الانصار ان تكون هزيمة العدو في حسن بك ورنبوك قد هيأت له فوق القمة الاخيرة من السلسلة ، فرصة اوسع في مجال المراقبة والتهيؤ للقتال . لكن العدو في الواقع لم يكن على درجة عالية من اليقظة ، فاستطاع الرفيق اسطه محمد ان يتسلل مع مجموعته ثم اصبحوا بمحاذاة جدار الرابية الاولى ، دون ان يثيروا انتباه حراسها ، وهكذا فعل الرفيق (ن) عندما قاد انصار مجموعته الى محاذاة جدار الرابية الثانية ، ثم زحف الانصار حتى اصبحت المزاغل بمتناول ايديهم ، وباشارة موحدة اشعل الانصار فتائل قنابلهم ، ورموها بسرعة الى داخل الربيتين .

بعد ان مرت فترة قصيرة ارتفع دوي فوق القمة مزق سكون الفجر الصامت ، وارتفعت صرخات غاضبة مرعبة ، وبدانا نقتحم الربايا ونجحت المباغتة ، وجرى بعد ذلك قتال عنيف قاس . الا انه لم يستمر طويلا ، فقد انهارت عزائم العدو ، واخذت جموعهم تفر من الميدان تلاحقهم اطلاقات بنادقنا . وحين لاذت فلولهم بالصخور تشجع البعض منهم وعادوا يصوبون نيران اسلحتهم على الانصار المنتشرين فوق الجبل وكان مسؤولنا العسكري يتبادل وقتها ، اطلاق النيران مع المعادين . كان يقاتل بلا توقف ، ثم اصيب باطلاقة في ساقه ،وسقط جريحا وهو على بعد عشرات الامتار من الموضع المعادي ، فانتبه اليه الرفيق اسطه محمد وخشي ان يقع اسيرا قبل ان يستطيع الدفاع عن نفسه ، فهرع لنجدته .. وخلال مسافة الثماني ياردات التي كانت تفصله عن الجريح ، كان يرمي بضع اطلاقات واقفا ويتقدم بعدها ثم يرمي ويتقدم ، واخيرا بلغ مكان الجريح فحمله على ظهره ، وعاد به . استغل العدو الفرصة للرمي على الرفيقين من الخلف ،واسطرهما بالاطلاقات ، فتصدى الانصار للاعداء ، وبدأوا يسكتون تلك النيران .لكن الرفيق اسطه محمد كان قد جرح ايضا ، بعد ان اصابته اطلاقة في احدى يديه .واخذ الجرح ينزف ، واضطرته الامه الى التوقف قليلا . وعندها سأل الجريح المحمول منقذه (ولم يكن يدري بانه جريح) عن سبب توقفه المفاجيء . واجابه الرفيق اسطه محمد : لاتساءل مع نفسي ، اي طريق اسلكه . الصاعد ام النازل ؟

وقال الجريح المسؤول العسكري وهو بين الغيبوبة واليقظة : سر يا رفيق في الطريق الذي سلكه اسطه محمد .

استمر اسطه محمد يزحف ، رغم الجرح الذي في يده ، ورغم الثقل الذي يضغط على لحم اصبعيه المزقين ، مسببا له الما فظيعة ، وعذابا لا يطاق . كان يحمل فوق ظهره تسعين كيلوغراما هي وزن رفيقنا المسؤول العسكري ، وكان وهو ينوء بحمل الجريح يجر نفسه جرا ، ويردد « سانقذك يا رفيق سانقذك » . وقد بر بوعده . وعندما اصبح خلف صخرة واقية هرع الرفاق لمساعدته ، ومدد القائد العسكري على ظهره ، وتم اسعاف الرفيقين ، وعندما عاد المسؤول العسكري الى وعيه شاهد الرفيق اسطه محمد الى جانبه ، فسأله مطمئنا :

— هل انتصرنا يا رفيق ؟

ورد اسطه محمد وهو يمسد شاربيه باصابع يده السليمة :

— انتصرنا يا قائد .

وحينما انتبه المسؤول العسكري الى يد الرفيق اسطه محمد الملفوفة بمنديل صبغتـــه الدماء تساءل بقلق :

ـــ جرحت يا رفيق ؟

فأجابه اسطه محمد : بسيط يا رفيق .

قال احد الانصار بصورة مباغتة : لقد انقذك يا رفيق باعجوبة .

التفت المسؤول العسكري واخذ يقلب النظر في وجه الرفيق اسطه محمد ، وغلبه التأثر ، وقال بصوت منفعل : دعني اقبلك ايها الرفيق .

ثم تعانق الرفيقان .

اكمل انصارنا احتلال قمة سه ري به ردي ، وطرد العدو من الجبل ، وبذلك طهرت سلسلة (حسن بك ـــ ربوك ـــ سه ري به ردي) بأكملها ، وكانت خسائرنا شهيدا واحدا هو الرفيق سليمان قادر ، وسقط ايضا اربعة جرحى . وبالمقابل ترك العدو عددا كبيرا من القتلى والجرحى ، واضطرت بعد هذه المعركة قطعات اخرى من الجيش الى الانسحاب نحو منطقة ديانا ، وظل الانصار فوق قمة سه ري به ردي ، ينظرون ، من ذلك العلو الشاهق ، الى حوض راوندوز ... المنبسط امامهم ... وقلوبهم تهتف من الاعماق : « ستبقى رايتنا حمراء » .

عندما زرته في غرفته الصغيرة ، واخبرته بمهمتي ، قال لي ببساطة : « موافق يا رفيق ، لكن الاشياء الهامة فقط ، هي التي تحتفظ بها ذاكرتي ، اما سواها فقد وهن وتلاشى مع الايام ، وثمة امر اخر لا بد من الاشارة اليه ، وهو ان مدة بقائي قائدا لسرية الانصار العاشرة لم تتعد بضعة اشهر . اما تاريخ السرية الكامل فيمكنك الحصول عليه من قائدها الحالي ، الرفيق ملا علي » .

اجبته بانني سافعل هذا ، لكني اريد الاستفادة من ذكرياته ايضا .

هدق ، عبر النافذة ، الى المراء ، وشرع يتحدث :

في عام ١٩٦٥ كانت قواتنا في كردستان مؤلفة من بضعة فصائل مسلحة ، موزعة على مناطق متباعدة . الهدنة قائمة ، لكن الحرب كانت متوقعة ، فالعلائق ما فتئت تتصدع بين حكومة عبد السلام عارف والثورة الكردية ، واخذت نذر الحرب تلوح في الافق .

في تلك الايام اتخذت قيادة حزبنا قرارا « بأن تخوض منظمات الحزب في كردستان القتال ، الى جانب قوى الثورة الكردية ، بجميع امكانياتها » . وفي ضوء هذا القرار اتخذت لجنة اقليم كردستان قرارا اجماعيا في الاجتماع المنعقد في آذار ١٩٦٥ ، نص على : « بذل الجهود اللازمة لتنفيذ قرار قيادة الحزب وتأمين الطاقات والامكانيات المتوفرة في المنظمات من اجل المساهمة النشيطة في الحرب الكردية ، دفاعا عن الشعب الكردي ، ومن اجل اعادة الديمقراطية للعراق » .

لكن كان علينا قبل كل شيء . تنفيذا لقرار الحزب . ان نقنع قيادة الثـــورة

الكردية بضرورة السماح لمنظمات حزبنا في كردستان . بتاسيس قواعد عسكرية جديدة ، ومد القواعد القديمة بالمساعدة اللازمة ، والاسلحة القتالية خاصة .

وبعد ان كلفتني قيادة الاقليم بمهمة تاسيس القاعدة الجديدة في قره داغ ، ذهب وفد منا ، تراسه سكرتير الاقليم انذاك الرفيق (س. خ)[1] ، وعضوية رفيق اخر ، لمقابلة مسؤولي الحزب الديمقراطي الكردستاني (ح. د. ك.) . وبعد نقاش طويل معهم حصلنا على موافقتهم المبدأية مع رسالة توصية الى البارزاني على موافقته النهائية . وتوجهت بعد ذلك الى « گلالة » لمقابلة البارزاني ، فوافق بدوره على تاسيس القاعدة الجديدة ، وزودني برسالة الى قائد الفرقة الثالثة (عزيز عقراوي). عدت الى مقر قيادة الاقليم في « قلعة دزه » واخبرت الرفاق بما تم . ثم زرنا مسؤولي (ح. د. ك.) ثانية ، لتامين الرسائل الرسمية ، وبعد ان بقيت يومين في (قلعة دزه) غادرتها في اليوم الثالث ، صحبة الرفيقين « و ن » و « ع. ج » ، وسرنا مشيا على الاقدام على الطريق المؤدي الى « ماوه ت » حيث علينا ان نستريح فيها قليلا ثم نواصل السير نحو (چوارتا) . بقينا في چوارتا يوما وليلة ، واتصلنا برفاقنا في منظمتها ، والتقيت ايضا بمسؤول منظمة (ح. د. ك) علي سنجاري الذي وعد بتقديم كل مساعدة ممكنة . غادرنا « چوارتا » ، اربعة ، بعد ان رافقنا رفيق اخر . ومعنا ثلاث بنادق ، متجهين الى « بنجوين » التي بلغناها بعد مسيرة ثلاثة ايام .

اتصلنا برفاقنا هناك ، وبدا كما لو اننا هبطنا عليهم من السماء ، لقد كانوا مندهشين من رؤيتنا ، نسير ، مسلحين ، في طريق القصبة ، بلا خوف او خشية . وزادت دهشتهم حين زرنا مسؤولي الثورة والقادة العسكريين في المدينة ، زيارة قصيرة . لقد سر الرفاق سرورا بالغا بهذا التحول في العلاقات بين حزبنا و (ح. د. ك.) حاولوا استضافتنا . لكننا كنا عجلين . فالحرب تدق الابواب . وقطعات كبيرة من الجيش تتحشد في المناطق الجبلية الهامة ، وصحف السلطة تمهد للحرب الماثلة . اما رفاقنا في قره داغ فكانوا ينتظرون وصولنا بصبر نافذ . وهكذا واصلنا المسير .

بعد ان التقيت بقائد اللواء (عزيز عقراوي) . اتفقت معه على فتح القاعدة (٢) في اقرب وقت ممكن ، وزودني . لهذا الغرض ، برسالة الى آمر فوج قره داغ الملازم طاهر رؤوف . ثم رجعنا الى (باره زان) ، وبتنا ليلة واحدة في بيت صديق ، ثم انطلقنا الى سيتك . لكننا ــ لسوء الحظ ــ سلكنا ، خلال مسيرنا ، طريقا اخر ، فضللنا ساعتين ، ثم وصلنا الى تلك القرية بعد منتصف الليل بقليل ، حيث نمنا ، لنتركها عصر اليوم نفسه متوجهين الى قرية (باريكه) . الفصل ربيع . والبرية عشب نضر يتطاول حتى الركبتين . انها اوائل شهر ايار .

تسلقنا ، عبر النيسم ، جبل كويزه ، وهناك التحق بنا رفيق جديد ، فاصبح

---

(١) الرفيق الشهيد ستار خضير عضو اللجنة المركزية للحزب الذي اغتيل عام ١٩٧٠ من قبل جلاوزة الفاشست في بغداد .

(٢) استعملنا كلمة « اللواء » مقابل كلمة « هيز » الكردية التي تعني « قوة » والمقصود بها حسب التشكيلات العسكرية للانصار «لواء» .

رتلنا الصغير خمسة رفاق . استطعنا اخضاع مسيرتنا للكتمان والسرية ، وبلغنا باريكه حوالي الثامنة مساء . فنزلنا في بيت صديق ، ضيوفا ، وارتحنا ، ثم واصلنا المسير باتجاه منطقة وارماوا . كانت مسيرتنا قاسية ، خمس عشرة ساعة من المسير المتواصل ، عدا وقفات قصيرة . . . وهكذا حين بلغنا قرية وازول ، في مطلع الفجر ، كانت اقدام ثلاثة رفاق قد اصيبت بورم ، فغدوا عاجزين تماما عن الحركة ، فاضطررنا على البقاء يومين في هذه القرية .

الى اين انتم ذاهبون ؟

في اليوم الثالث ، تركنا قرية وازول ، وقبل ان نجتاز حدود القرية اعترضنا فصيل من البيشمركه الموالين لـ ح. د. ك. ، ثم تقدم الينا قائدهم يحيط به حرسه . وسألنا بدون مقدمات ، او القاء التحية المتعارف عليها :

ـ اراكم تسيرون بحرية تامة . . الى اين انتم ذاهبون ؟؟

اجبته : نذهب الى فوج قره داغ .

فقال مستهترا : فوج قره داغ ؟ اهكذا . . . مرة واحدة ؟

اخذ رفاقي في الخلف يشدون قبضاتهم على السلاح ، فرفعت يدي مهدئا . ثم قلت لامر الفصيل : لدينا موافقة رسمية من قيادتكم بتأسيس قاعدة في قرة داغ .

ـ هذه الامور لا تعنيني . جئت لتجريدكم من السلاح .

سألته غاضبا : هل ترفضون اوامر قيادتكم ؟

ـ انني اتلقى الاوامر من امر الفوج فقط . هيا سلمونا اسلحتكم .

في تلك اللحظة سمعت من الخلف صوتا مفعلا : هل تدعنا يا رفيق نؤدبهم ؟ كان الرفاق مستعدين لاطلاق النار باشارة مني . لكن بدون تردد قلت : كلا يا رفاق . . . احتفظوا بهدوئكم .

وبعد نقاش حاد ، سلم الرفاق اسلحتهم الى البيشمركه ، وواصلنا المسير بصحبة الفصيل على طريق قره داغ .

وبعد وقت ، حين شعر هؤلاء بعبء اسلحتنا على اكتافهم ، اعادوا الينا البنادق مكرهين ، نازعين ابرها ، لكنهم اخذوا مسدسي . قلت لامرهم : هذه اهانة سياسية يجب ان تتحملوا مسؤوليتها فيما بعد .

ـ انني انفذ امرا صادرا من فوق .

قلت له : اعلم ذلك ، ولهذا لم نصطدم معكم ، ولكن . . . مهلا .

واصلنا المسير ، ووصلنا قرية اوه كه له مبللين ، فقد داهمتنا الامطار غزيرة

اتفقت مع الرفاق في اوه كه له على ان ننام جميعا في بيت واحد ، منعا لمؤامرة قد تدبر ضدنا ، ففي عام ١٩٦٤ ، قتل الاستفزازيون ، في كاني ماسي ، عددا من الرفاق ، بذريعة محاولتهم الهرب . قضينا ليلةواحدة في القرية ، ثم تابعنا المسير باتجاه قرية فقيره كان فيها مقر سرية شاره زور التي ينتمي اليها الفصيل المرافق .

حين وصلنا القرية استقبلنا امر السرية الشيخ حسن واعتذر عما بدر ، واعاد

الي مسدسي قائلا : امر الفوج هو الذي امر بتجريدكم من السلاح ، لسبب اجهله ، كما ارجو المعذرة لعدم استطاعتي اعادة بقية الاسلحة اليكم ، ولما كنتم ذاهبين الى مقر الفوج ، فارجو ان تحلوا هذه المشكلة هناك .

قلت : نشكركم يا شيخ حسن . نحن ممتنون لتصرفكم .

ورد الشيخ حسن : انني مسرور لتعاون رفاقنا معكم ، ومسرور كذلك لفتح القاعدة الجديدة .

شكرت الشيخ حسن على شعوره الطيب تجاهنا ، ثم ودعناه ، وبدانا نسير الى قوبي قره داغ ، حيث مقر الفوج . بلغنا المقر قبل حلول الظلام ، فطلبت من مرافق امر الفوج الملازم طاهر رؤوف السماح لنا بمقابلة الامر . غاب المرافق فترة ، ثم قادنا اليه . عندما دخلت الغرفة نهض يستقبلني ، شاب في الثلاثين ، مترهل ، قصير . واذ صافحني احسست بكفه ، ناعمة ، نعومة جلد الاضعى . كانت مصافحته باردة . سلمته الرسائل الرسمية الخاصة بموضوع القاعدة ، قبل ان اجلس . قرأ الرسائل الواحدة تلو الاخرى ، ثم سألني : هل تعشيتم ؟

اجبته : تعشينا بالطبع . لنتحدث الان عن اسلحتنا المصادرة .

قال في براءة مصطنعة : اي اسلحة ؟

اجبت : تلك التي صادرها انصاركم ، منا ، قرب قرية وازول ، بأمر منك .

ضحك ، كسبا للوقت ، ثم اخذ يمثل دور المستنكر قائلا : كيف فعلوا هذا ؟ واضاف متسائلا : اين اسلحتكم الان ؟

اجبته : لدى الشيخ حسن .

قال : ساكتب اليه كي يعيدها .

صمت ثم سألني بغتة : هل اخترتم مكانا للقاعدة ؟

قلت : نقع قرب قرية (باني ميران)

— مكان صالح للعمل .

ودعني مسرعا ، وعدنا نحن الى قرية فقيره ، ثانية ، حيث استقبلنا الشيخ حسن بوجه بشوش ، ومصافحة حارة ، وكلمات صديق . سلمته رسالة آمر الفوج ، فخرجنا من الغرفة ، وعاد بعد قليل ، يحمل على كتفه اسلحة الرفاق ، فاستعاد كل رفيق سلاحه ، وعقب الشيخ حسن : ستكونون عونا كبيرا لنا .

تعشينا معه ، وشربنا الشاي ، ثم تهيأنا للرحيل . عانقت الشيخ حسن مودعا ، واخذنا نسير . اما هو فقد ظل يرقبنا ، مدة ، من مكانه المشرف على السهل ، ثم سمعنا صوته : مع السلامة . كنا في الطريق الى (نازه دى) ، وقد استبقتنا الاخبار . اخبارنا : تجريدنا من السلاح ، واعادته الينا . وقد كان الجميع مسرورين بالنتيجة .

قمنا بتأسيس قاعدتنا ، في مكان قرب قرية (باني ميران) الواقعة في منطقة نفوذ لحزبنا ، كما ان القاعدة كانت قريبة من دربنديخان ومن طريق جاولاء — دربنديخان الذي كانت تقطعه قوافل سيارات العدو العسكرية ذهابا وايابا .

والخلاصة ان المنطقة كانت ستراتيجية محصنة ، وصالحة لعمل الانصار .

رفاقنا في مدينة السليمانية ، ومنظمة جوتياران ، جمعوا لنا اشياء كثيرة : سكرا وشايا وفاصولياء ورزا وملابس وادوية . كانت كل مصروفات القاعدة على عاتقنا ، وكانت منظمة السليمانية البطلة تساعدنا كل شهر بمائة وخمسين دينارا نقدا ، عدا المواد الغذائية والملابس والادوية ، والعتاد احيانا . المنظمة نفسها اهدت لنا بندقية سيمينوف كانت اشترتها بسعر مناسب اثناء الهدنة ، وقبلها اشترى لنا الرفاق بندقية انجليزية نصف مستهلكة .

هكذا ترسخ وضع قاعدتنا ، وسارت امورنا جيدة ، داخل المدينة ، وفي منطقتنا ، وبدانا نوسع نشاطنا السياسي ، حيث كانت مقابل خطوطنا فصائل من المرتزقة . لقد سبب الاضطهاد المزدوج من جانب السلطة والعناصر اليمينية الكردية وكذلك عدم النضج السياسي ، التحاق اعداد من الناس ، بمرتزقة السلطة . لكننا كنا نجد مجالا للعمل بينهم . . وهكذا ، بعد يومين من فتح قاعدتنا ، التحق بنا اثنان منهم ، هما محمد فتاح كلاو الذي استشهد عام ١٩٦٦ في معركة دربنديخان ، والرفيق ا.ك .

كنا قاعدة صغيرة . ثلاثة عشر نصيرا ، وسط قوى ضخمة هي انصار الثورة الكردية من جهة ، والعدو جيشا ومرتزقة من جهة اخرى .

خيانة في وقت صعب

منذ تاسيس قاعدتنا ، عمل امر الفوج الملازم طاهر رؤوف ، بوسائل غاية في الدناءة ، بغية طردنا من المنطقة باسرع وقت ممكن ، فكان يحرض اغنياء الفلاحين وافراد العشائر ضدنا ، ويسيء عملاؤه الى سمعتنا ، ويعرقل كل مجالات التعاون الضرورية لتمشية اعمالنا العسكرية والسياسية في القاعدة والمنطقة معا . حين طالبناه اولا بملابس الخاكي الخاصة بالانصار ، رفض ذلك بحجة اننا غير مسجلين رسميا في سجلاته . الطريف في الامر ان انصار الملازم طاهر انفسهم ، بسبب وعيهم المتخلف ، ورغبتهم في التخلص حتى من مظهر الفصير ، تخلوا عن بدلات الخاكي الرسمية ، واستبدلوا بها ملابسنا الفلاحية ، بعد شهر واحد !

لماذا يفعل الملازم طاهر هذا كله ؟

كان معروفا لدينا انه ذو علائق مشبوهة بالسلطة ، بل ينوي تسليم المنطقة المسؤول عنها الى القطاعات المعادية لدى اول اشارة ، وكان يأمل في القضاء على قوات البارزاني ، خيانيا ، كي تتسلم قيادة الثورة عناصر تحل المسالة لصالح الرجعيتين الكردية والعربية . لذا ، كان وجود قاعدتنا ، معرقلا لنواياه هذه . خاصة وان لحزبنا جماهيرية واسعة في المنطقة . وان منظماته تعمل . بسرعة . من اجل توسيع قاعدتنا العسكرية والتنظيمية .

ولما فشلت كل مساعي الملازم طاهر : استمان بنفوذ الثورة : فارسل برقية طويلة الى قيادة الثورة يخبرهم فيها « ان تاسيس قاعدة للشيوعيين في منطقة

قره داغ قد اثار ضجة واستياء كبيرين بين اهالي المنطقة ورؤساء العشائر » . اضطرت قيادة الثورة . بعد هذا الى ان تطلب برقيا حضوري الى قلعة دزه حيث المكتب التنفيذي للثورة . درست الامر مع الرفيق سكرتير المنطقة . وتقرر ذهابي الى قلعة دزه ، فتوجهت صحبة تسعة رفاق الى هناك . وبعد اربعة ايام من سير متواصل يزيد على خمس عشرة ساعة يوميا . عبر السفوح والوديان . وصلنا المدينة .

كان القتال قد بدا بين جيش السلطة وقوى الثورة الكردية .

زرنا مسؤولي (ح.د.ك) وناقشنا الموضوع معهم . وفي نهاية الاجتماع وافقوا على قولنا بأن تلك الدعاوة اباطيل . ووعدونا بتقديم السلاح والعتاد .

اثر ذلك رجعنا الى قره داغ . وعندما تحركنا من قرية سيتهك وصعدنا فوق جبل كويزه المشرف على السليمانية . وقت الغروب . شاهدنا جبل (كله زه رده) يتصاعد منه الدخان . انها مدفعية الجيش . اخبرنا الفلاحون الذين مررنا بهم ان المعارك تدور في قره داغ . وقبل ان الوضع في غاية الحرج .

هكذا صممنا على ان نغذ السير . كي نصل الى قاعدتنا ، في الليلة نفسها . كان مشينا سريعا . اقرب الى الهرولة . وكان الوقت ليلا ، الا ان رفيقين معنا كانا يقومان بواجب الدليل . وحين وصلنا قرية (زركويز) رجع الرفيقان ، وبدانا نحن نتسلق جبل قره داغ . في البداية كنا مترددين في اختيار النيسم المناسب ، بسبب اننا سمعنا بأن الجيش والمرتزقة قد احتلوا قمة كله زه رده . لكننا قررنا تسلق الجبل . نبلغنا اعلاه . مع طلوع الفجر ... وهناك فوق القمة فصيل من الانصار (البيشمركه) جلهم نائم .

لم يوجه لنا الحراس الا سؤالا واحدا : « من اين جئتم ؟ » فاجبناهم :

« من سيتك . ونذهب الى قره داغ » . واعطيناهم ارغفة خبز زائدة عن حاجتنا ، ثم تركنا منطقة الفصيل . مررنا بفلاحين تعرفنا بواسطتهم على الموقف :

كانت قوات الجيش قد احتلت الجبل ، بمساعدة المرتزقة وبعض العناصر المتواطئة من قادة البيشمركه في سرية خالد رمباني .

عندما هبطنا السفح على الجانب الاخر باتجاه منطقة (تازه دي) . كان الغرض من ذلك . التعرف على مقر الفوج . والتفاهم مع الامر حول تحديد جبهة لنا نخوض عندها القتال ضد القوات المعادية . آنذاك كان الفلاحون يهجرون قراهم ، وتحاول جموعهم الاحتماء بالجبل تخلصا من قصف الطائرات التي شرعت منذ الفجر تهاجم القرى المنتشرة في المنطقة . وتأكدنا بعد ذلك ان وحدات الجيش احتلت الجبل فعلا . وخلال ساعتين احتلت قصبة قره داغ دون اي مقاومة . اما امر الفوج الملازم طاهر ، سيء الصيت ، فقد ترك مقره في (قوبي قره داغ) بعد ان امر بتحطيم جهاز اللاسلكي والمولد الكهربائي ووزع الارزاق الاحتياطية المخصصة للانصار على اصدقائه وعملائه ، وترك الادوية الثمينة التي جمعت خلال عام الهدنة مبعثرة على الارض . انها عملية انسحاب مشبوهة .

وعندما احتمينا في قاعدة الجبل ، تأكد لدينا ان الملازم طاهر رؤوف قد ترك

المنطقة ليسلمها الى القوات الحكومية مباشرة ، وقد تعاون معه في هذا امر الفوج الخامس المدعو نوشيروان .

خلال تلك الايام وصل الى المنطقة قائد الفرقة الثانية (عزيز عقراوي) ، كي يرفع معنويات الانصار ويدفعهم الى الصمود ، ومقاومة القوات الحكومية ، وكان الرجل جادا في عمله . كتبت اليه رسالة طلبت فيها مقابلته في مكان قريب من قوبي قره داغ ، ثم توجهت مع سبعة عشر نصيرا من رفاقنا الى المكان المحدد .

في تلك الساعات احتل الجيش مقر الفوج السابق المسمى (وزياره) . اما نحن فقد وصلنا الى دربنديخان ، ولم يكن يفصلنا عن قطعات الجيش الا مضيق واحد فقط ، فاحتفظ الرفاق بمواقع هامة امام قطعات الجيش لمنعها من التقدم اكثر . واخبرنا منظماتنا الحزبية بمكاننا بغية تزويدنا بالارزاق والاخبار وايصال النجدات عند الحاجة ، كما بدات اجمع الادوية التي تركها آمر الفوج ، وارسلناها الى قائد الفرقة ، وكان عدد قناتي الامحال حوالي الف ومائة ، عدا عشرات الالوف من الحبوب المتنوعة .

لقد غدونا القوة الوحيدة في جبهة قوبي قره داغ .

كنا نتحرك ، وحدنا ، مقابل وحدات الجيش وفصائل المرتزقة .

اما اقرب قوة الى مكاننا فكانت مقر اللواء ، وهو يبعد عنا باكثر من مسيرة خمس ساعات . ان اسلحتنا لم تكن جيدة ، والعتاد لم يكن كافيا .

كان الانصار الذين يتركون منطقة كرميان ،ويمرون قريبا من قاعدتنا خلال انسحابهم الى الخلف ، يتملكهم الاندهاش عندما يروننا باقين في ذلك المكان ، فوق السلاسل الجبلية ، بينما تركت كل القوى الاخرى ، المنطقة ، بعد ان اخلت مواقعها الهامة جميعا .

وحدنا ... وجها لوجه اما م العدو

بقينا في الاماكن الحساسة ، والهامة ، امام قطعات العدو المتقدمة ، حوالي خمسة عشر يوما . وفي احد الايام ارسل (عزيز القاني) آمر الفوج التاسع الذي كان في منطقة كرميان ، ثم انسحب مع قطعاته والتحق بالاخرين ، رسالة ، يخبرنا فيه بضرورة التوجه مع انصارنا الى مقر اللواء، للتفاهم مع عزيز عقراوي ، بغية وضع خطة ناجحة لضرب العدو . لكني اخذت معي نصيرا واحدا فقط ، وغادرت القاعدة حوالي الساعة الخامسة مساء ، ووصلنا ليلا الى تازه دي ، وهناك ارتحنا قليلا ، ثم توجهنا الى مقر اللواء في سولياوا . وارتقينا الجبل قبل شروق الشمس . كانت الطريق خالية ، خلاف المالوف . فسألنا احد الرعاة عن مقر اللواء ، فاجابنا ساخرا : « اي لواء ؟ كلهم فروا الى ايران ! » . وهكذا عدنا الى قاعدتنا ، ووصلناها بعد الظهر وناقشنا المسالة مع الرفاق ، بعد ان وضعنا امامنا الصورة التالية :

- عددنا سبعة عشر نصيرا .

- جل اسلحتنا لم تكن جيدة .
- عتادنا قليل لا يكفي لدخول معركة واحدة .
- العناصر المعادية تتسرب الى المنطقة .
- معنويات الفلاحين آخذة بالانهيار .

ثم طرحنا السؤال الاتي : انبقى في قاعدتنا الحالية ، ام نلحق بالقوات المنسحبة ؟

كانت هذه القوات قد اتمت انسحابها ، ولم تخبرنا حتى بوجهتها ، وتركتنا لقمة سائغة بين فكي العدو المتقدم بدون اي اعاقة .

قرر الرفاق الصمود في موقعهم . وقمنا بتقسيم قوتنا الى مجموعتين صغيرتين وتقرر ان تبقى الاولى في نفس المنطقة بصورة سرية ، لضرب القوات المعادية الموجودة في قره داغ ، بينما تتحرك الثانية الى قرية كولان القريبة من معسكر دزبنديخان بمسافة سبعة كيلومترات وتقوم بعملياتها هناك . ومن اجل توحيد اوقات عملياتنا ، وضعنا برنامجا احتوى على توقيت زمني تلتزم به المجموعتان عند القيام بضرب العدو .

وبالفعل ، استطعنا القيام باربع عمليات هجومية في اوقات وليال محددة ، فعندما كانت المجموعة الاولى تهاجم العدو ، كانت المجموعة الثانية تهاجم العدو في نفس الليلة ايضا ، والمسافة الفاصلة بين المجموعتين لا تقل عن ثلاثين كيلومترا .

بقينا ، على هذه الحالة ، عشرين يوما ، وبعد ذلك عاد لواء البيشمركه بقيادة عزيز عقراوي نفسه ، ومكث ما يقارب عشرين يوما ، وقاموا ببعض العمليات العسكرية دون جدوى . كان صمودنا مثار ردود فعل مختلفة ، لكن الجميع كانوا يعتبرون صمودنا عملا بطوليا حتى ان آمر القوة عزيز عقراوي كتب الينا رسالة شكر وتقدير واعتزاز .

اما اسباب الهزيمة السابقة للبيشمه ركه فقد كانت في سحب القوة الى منطقة (برزنجه) ، واعادة تنظيمها هناك ، والعودة ثانية لاستعادة الارض التي احتلتها قطعات الجيش ، في حين كان بالامكان فعل هذا في المنطقة نفسها ، بدون الانسحاب المذكور ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لم يكونوا في حاجة الى عملية اعادة التنظيم ، ما داموا لم يخوضوا معركة ، ولم تقع بينهم خسائر في الارواح .

بعد عودة البيشمركه الى منطقة قره داغ ، وصلتني رسالة من آمر اللواء المقدم عزيز عقراوي ، يطلب فيها حضوري الى مقره « للتفاهم حول الوضع السائد في المنطقة » . التقيت به ، وشغلنا بدراسة مشتركة للوضع السائد في المنطقة ، فطلب منا البقاء ، في قوبي قره داغ ، بينما وضع هو مقره في سولياوا .

بعد بقائنا في قوبي قره داغ بضعة ايام ، وضعنا خطة للهجوم على احدى الربايا الحصينة ، التي كانت تشكل نقطة امامية ذات خصائص ستراتيجية هامة ، وكان منوطا بها واجبات تامين الحماية لمعسكر الجيش والمرتزقة في قوبي . كانت لدينا قنابل يدوية صنعها رفاقنا ، بالاضافة الى سلاحين ممتازين : بندقية سيمينوف وغدارة ، وكنا مصممين على احتلال تلك الربية ، آملين الانتقال الى عمليات هجوم

اخرى على المعسكر نفسه ، في خطة الهجوم.جرت تسمية رفاق مجموعة الهجوم ، وكذلك رفاق مجموعة الكمين ، واخيرا رفاق مجموعة الاسناد التي ينحصر واجبها في ضرب القوات المتمركزة في وسط قوبي ، في حالة محاولتهم القيام بهجوم مقابل ، لنجدة مرتزقة الربية الهدف .

كان من المقرر ان نقوم بتنفيذ العملية بعد ثلاثة ايام من تاريخ وضع الخطة . وقد استفدنا من تلك الايام الثلاثة في اجراء التمرينات الاولية والقيام باستطلاع دقيق لظروف العدو .

قبل انتهاء الايام الثلاثة ، وصلتني ، فجاة ، رسالة من آمر اللواء ، كان يطلب فيها حضوري الى قرية (نوي) فذهبت الى هناك في اليوم نفسه ، لكنني التقيت به في اليوم التالي . وعندما دخلت غرفته نهض من مجلسه ، وشد على يدي بحرارة وقال : مرحبا بك يا ملا ، استرح من فضلك .

وعندما جلست طلب من مرافقه ان يهيء لنا الشاي ، والتفت بعد ذلك نحوي ، وقال بوجه ضاحك : صحتك ؟ اعني راحتك ...

قلت : لا باس بها .

بدا يتصفح دفتره الصغير ، مقلبا اوراقه بسرعة . اخيرا قال : لدينا فكرة اعني خطة للقيام بعملية هجوم على مواقع الجيش والمرتزقة .

قلت : هل من الممكن ان يشارك انصارنا في المعركة .

لمعت عيناه ، وابتسم : من الضروري جدا مشاركتكم ايانا .

وعرض علي ان اشارك آمري السرايا الاخرين في وضع الخطة الملائمة ، مع الملازم طاهر . لكنني ابديت رايي صريحا في هذا الملازم الحرباء . فقال المقدم عزيز : صعب اهمال ملحوظاتك ، لكن ... لنجرب .

رجعت الى قوبي .

في اليوم التالي رأينا عددا كبيرا من الانصار التابعين للملازم طاهر يتوجهون الى المنطقة ، ويحتلون بعض الاماكن البعيدة عن الجبهة . ولم يبلغنا احد شيئا .

بعد يومين من وصول البيشمركه ، وفي الصباح ، بدأوا الهجوم واطلاق النيران على القوات الموجودة في قوبي ، ولكن دون الاستناد الى خطة واضحة المعالم . اشتدت المعارك ، وبدأت طائرات السلطة تقصف المنطقة . وبالمقابل كان انصارنا يتحرقون شوقا للمساهمة في القتال. كنا نلقين ازاء مصير المعركة بسبب الملازم طاهر وتدابيره السيئة . وقد فشل الهجوم . كما توقعنا . وقد كان عدم وصول بعض الاسلحة الثقيلة المنتظرة . وقلة الارزاق والعتاد . سببين اخرين للفشل . اما المقدم عزيز فقد طلب ان ينقل او يعفى . وقد نقل فعلا . وحل محله العقيد نوري معروف .

الرحيل الى سولياوا

آمر اللواء الجديد . يأمر قوتنا . برقيا . بالانتقال الى منطقة سولياوا . بأسرع وقت ممكن . فوجئنا بالبرقية . وخاب املنا . كتبت رسالة الى آمر اللواء ردا على

امره السابق : « لسنا مرتاحين من قراركم المفاجيء . ولرغبتنا الشديدة في مشاركة البيشمركه المعركة في قره داغ . نرجو اعطاءنا واجبا في جبهة القتال . وبعد انتهاء المعارك سننفذ امركم بحذافيره » . لكن آمر اللواء رد علينا برسالة متواضعة مليئة بالتقدير ، جاء فيها ايضا « المنطقة المقرر نقلكم اليها تحتاج الى جهودكم . فهي منطقة حساسة جدا ، بالاضافة الى ان وجودكم هناك سيؤمن الحماية اللازمة لمقر اللواء » .

هكذا تركنا المنطقة . وكان بدء تحركنا قبيل الغروب . بسبب الرصد الجوي والارضي للعدو . كانت مدفعية الجيش قد اعتادت ان تغرق مساحة واسعة من الارض باطلاقات نار الازعاج الليلية . ها نحن نسير . بينما لهب القذائف . قذائف الحريق ، ينير المنطقة متقطعا . وعندما خرجنا من المضيق كانت الارض التي نطأها تحترق ، والشجرات المشتعلة يتصاعد منها دخان كثيف .

كان معي — لسوء الحظ — الرفيق ع.ب «ضابط صف سابق في الجيش» . ارسلته الينا منظمة السليمانية ليكون مساعدا لي . لفترة . ثم يشغل من بعدي منصب آمر السرية ، وكان قد تقرر في السابق ان اعود الى العمل الحزبي . لكن حدث الضد ، فقد بدا ضابط الصف السابق . منذ الايام الاولى . يتذمر من « هذه الحياة التعسة .. البعوض والليل والنوم على الصخور بدون فراش . والطعام القذر هذا » ثم قرر الهرب رسميا . مدعيا مرض العمى الليلي . طالبا اعادته الى المدينة .

عبرنا المنطقة الخطرة . ثم استطعنا الوصول الى المكان المقرر . واتصلنا بعد ذلك برفاقنا انصار السرية الرابعة التي كان يقودها الرفيق ع. ط . بقينا . سوية في سولياوا .

اما الرفيق . ضابط الصف . المدعي مرض العمى الليلي . فقد سفرناه الى السليمانية ، ولم يعد .

هجمة موفقة على العدو

اتفقنا — قبلا — مع آمر اللواء ، على ان يجري عمل السريتين ، سريتنا ، وسرية الانصار الرابعة ، بصورة موحدة . ولذلك لم يكن غريبا ان يوافق آمر اللواء على عملنا المقبل ، حين طلبنا منه ذلك . كنا نريد ضرب الربايا المعادية الواقعة على طريق (كله زه رده — قره داغ) قرب قرية هناران — دوليان .

مع المنظمة الحزبية في دربنديخان . اما المراسل فضروري ان يكون عنصرا بعيدا عن محكمة ، وجرى توزيع الواجبات على الرفاق بشكل متكافيء . استطعنا ان نضرب بضع ربايا في آن واحد . واستمرت نيران بنادق الانصار تصلي الاعداء لمدة ثلاثين دقيقة . كانت هذه العملية اول عمل عسكري ناجح في تلك المنطقة ، خاصة بعد فشل الهجوم الواسع على قوبي الذي اشتركت فيه ثلاثة افواج من البيشمركه .

علمنا — فيما بعد — ان خسائر العدو كانت سبع اصابات بين قتيل وجريح .

وقبل ان نرسل نتائج الهجوم الى آمر اللواء ، تسلمنا منه رسالة شكر على

اعمالنا الباهرة ، يطلب فيها ان نرسل له قائمة باسماء الرفاق الذين قاموا بالعمليه ويثمن اسلوب وكيفية وضع الخطة وتنفيذها والخروج من المعركة بدون اية خسائر .

مراسل ام مقاتـــل ؟

في ايام قوبي قره داغ الاولى ، كان من الضروري ان تكون اتصالاتنا مستمرة مع المنظمة الحزبية في دربندخان . اما المراسل فضروري ان يكون عنصرا بعيدا عن الشبهة .

التحق بنا فتى في الرابعة عشرة ، مراسلا .

وفي اليوم الاول لمجيئه ، وبعد ان سلمني الرسائل ، جلس امامي ، وراسه بين يديه . قال : هل عددت الرسائل يا استاذ ؟

وقبل ان اتكلم ، اجاب هو بسرعة ، : لا تحتاج الى عد فهي ثلاث .

اضحكني جوابه وسالته : اذن ، لماذا سالتني في البداية ؟

ضحك وقال : حتى لا يضيع منها شيء .

قلت له : احسنت . لم تقل لي اسمك .

اجاب مسرعا : يسمونني عبه . (١)

سالته جادا : اهذا اسمك الحزبي ؟

نظر الي بعينين صغيرتين ، وباعد يديه ، ثم اعادهما تحت راسه ، ثانيـــة ، واجاب : لا اعرف .

قلت : حسنا ، يا رفيق عبه ، اذهب لتتعشى ، ولا تنسى بعد ذلك ان تنام .

قال بعناد : لماذا لا اتعشى معكم ؟

قلت له : واذا تاخر وقت طعامنا ؟

قال مرحا : سأصبر مثلكم .

قلت : لكننا نفضل ان تتعشى الان .

قال : لست جائعا الان .

قلت : كن مطيعا ، ونفذ القرار .

هز راسه باستنكار : هذا قرار مزيف ، فاين هي الاوراق والقلم ؟

قلت له : الانصار لا يحتاجون الى محضر ، هكذا يعملون .

مد عنقه وقال متراجعا عن عناده : لم اكن ادري .

ثم خرج برفقة الرفيق الخفر .

بعد بضعة ايام ، شاهد الانصار يحملون السلاح ، ويذهبون الى الحراسة او الدورية . شعر بانه اعزل عن السلاح ، فاخذ يضغط علي كي اعطيه سلاحا ، مع ان عدد الانصار كان يزيد ، دائما ، على مجموع السلاح لدينا . اخيرا رضخـــت لطلبه ، وعهدت اليه ببعض الواجبات البسيطة كالحراسة قرب المقر مثلا . عندمـــا

---

(١) عبه : تصغير لاسم « عبد الله » في الكردية .

انهى ساعة حراسته الاولى اقترب مني ، مزهوا بحزام الرصاص ، معلقا ابهاميه بحافته ، وقال لي : رفيق ...

قلت : لن اجيبك يا رفيق عبه .

دهش وسأل منكسرا : رفيق ... لماذا ؟

سررت لذكره كلمة رفيق مرتين ، فقد بذلنا جهدا غير قليل كي يعتاد استعمالها بدلا من « استاذ » .

قلت له : النصير الشيوعي لا يفعل هذا .

تساءل ثانية : ما الذي فعلته يا عم ؟

هززت راسي : الغلطة صارت غلطتين .

ضحك قائلا : آه ، ما الذي فعلته يا رفيق ؟

قلت : الشقي وحده يعلق ابهاميه على حزامه .

انتبه الى وضعه ، ومد يديه مستقيمتين على جسمه ، ووقف مستعدا ، قال : لن افعل ذلك ثانية .

ثم رفع راسه الى اعلى وشد قامته ، وقال منفعلا :

رفيق ، لقد جئتك في امر هام . ارجو ان تعفيني من واجب المراسلة .

سألته متصنعا الاهتمام الزائد : لماذا يا رفيق عبه ؟

انطلقت كلماته متعثرة : احب ان ابقى نصيرا ، احمل السلاح واقاتل .

قلت له : لكن نقل البريد واجب هام ايضا .

رد بصوت عال : فليقم بهذا الواجب شخص اخر .

قلت محاولا انهاء الموضوع : الامر ليس بيدي ايها الرفيق ، ويمكنك عرضه على مسؤول اللجنة العسكرية .

تساءل : من هو مسؤول اللجنة ؟

قلت : ذهب الى مكان اخر ، وسيعود بعد شهر .

قال متذمرا : حتى ذلك الوقت ؟

وحدث يوما ، والنصير بيننا ، ان هاجمت الطائرات منطقتنا ، واخذت تهاجمها بالقنابل والرشاشات الثقيلة والصواريخ . فهرع عبه ، يبحث عن ملجا ، وهو يرتعد هلعا ، فوضعناه في حفرة قريبة من المقر ، وانتشر الانصار تحت الاشجار . وعندما كانت الطائرات تنقض بهديرها المرعب ، كان الصغير عبه يغلق اذنيه براحتي يديه ، وينكس راسه ويخفيه بين ركبتيه ، ويظل هكذا ، لكن ما ان تخفت اصوات الطائرات حتى يصرخ فينا :

ارجوكم ، ابقوا تحت الاشجار ، لئلا تراكم « عيون الطائرات » .

وفي اليوم التالي للغارة ، جاءني ، واخذ يمسح سيقان الاشجار التي نعيش تحتها ، مثل قط اليف ، وبعد برهة قال بدون ان ينظر الي : الديكم رسالة اوصلها الى الرفاق ؟

قلت : نعم يا رفيق عبه ... استعد للذهاب .

ارسلته في اليوم نفسه الى المنطقة . وقد ودعنا مصافحا ، وعيناه تدمعان .

وحين اقترب مني عانقني ، مجهشا بالبكاء ، مهتز الجسم .

في رسالتي ، اوصيت رفاق المنظمة ، بأن يبقوه لديهم ، والا يرسلوه الينا الا عند الضرورة ، أو حين نطلبه .

الانتقال الى ناوطاق

فكرنا بضرورة اقناع آمر اللواء بنقلنا الى ناوطاق القريبة من معسكر الجيش ، حيث امكانات ضرب العدو متوفرة ملائمة . كما اننا سوف نحصل هناك على حرية عمل نفتقدها هنا .

وفي احد الايام جاءنا رفيق بشدري ، آمر فوج ، ومساعد آمر اللواء ، وقال : ثمة رجاء من آمر اللواء طلب ان انقله اليكم ، فالقوة في ناوطاق غير كافية لحماية المنطقة ، لذلك يرغب آمر اللواء في ان توافقوا على الانتقال الى ناوطاق .

قلت لرفيق بشدري : ان كانت المسالة تتعلق باخذ راينا ، فيجب في هذه الحالة ان استشير الرفاق حتى يمكن اعطاء راينا بصورة جمعية ، اما اذا كانت القضية ذات صفة عسكرية فلا بد من تنفيذ الامر بحذافيره .

قال رفيق بشدري : لكم الحق في اختيار الحالة الصالحة . نرجو اعطاءنا الجواب ، اليوم ، نظراً لقربكم من مقر اللواء .

عرضنا موضوع النقل الى ناوطاق على الرفاق ، الا اننا اشترطنا ان تنتقل معنا السرية الرابعة ، بغية الاستفادة من مجموع انصارنا ، اذ ان خطورة المنطقة تستدعي تجميع اكبر عدد ممكن من البنادق ، ولم يكن هذا ليتوفر من دون عمل السريتين ، العاشرة والرابعة ، سوية .

كتبت بذلك الى آمر اللواء ، وفي اليوم التالي تسلمنا موافقته التامة . توجهنا الى (ناوطاق) ، ووجدنا هناك سرية (رزكاري) التابعة الى الفوج الخامس ، وكانت تضم مائة وعشرين نصيرا ، مسلحين بالبنادق مع خمسة رشاشات جيدة . بينما كان مجموع انصارنا في كلتا السريتين لا يتجاوز خمسة واربعين .

كان الوضع في الجبهة هادئا نسبيا ، حتى يمكن القول ان ثمة هدنة غير معلنة كانت قطعات الجيش تكتفي بعمليات الدفاع عن المعسكرات ، واطلاق نيران المدافع ، ازعاجا ، ودكا للقرى المشكوك بوجود انصار فيها . وكنا نحن ، وجماعة سرية رزكاري نحرس ، بشكل مشترك ، مناطق عدة ، وكانت كمائن الحراسة المخصصة للواجبات تتسلم المناطق تبعا لنسبة القوى لكلا الطرفين . اما الارزاق ، فكنا نطلبها من الفلاحين : خبزا ولبنا وفواكه احيانا . كانت لنا منظمة قوية ، وجماهيرية واسعة في المنطقة ، مما سهل علينا مهمة تموينا ، بدون اي ضغط على اسر الفلاحين . كانت جماهير المنطقة قد عانت من اضطهاد وارهاب العناصر اليمينية داخل صفوف الثورة و (ح.د.ك) ، وبعد تاسيس قاعدتنا زال الاضطهاد ، وحل محله الاحترام والتعاون ، بين انصارنا والفلاحين .

الصمود ثم الصمود

بعد ان ذهب آمر سرية رزكاري في اجازة . حل محله جلال ولي ، وهو عنصر معتدل يريد التعاون الصادق معنا .

وفي غروب احد الايام ، سمعت ضوضاء قريبة . ودخل نصير ليخبرني بمجيء جلال ولي مع عدد كبير من افراد سريته . وقبل ان ينهي النصير حديثه دخل جلال مرتبكا ، لاهثا ، ينضح وجهه عرقا . اجلسته ، وطلبت له ماء . وبعد ان استراح قال :

« الم تسمع الخبر ؟ يقولون ان اللواء نقل مقره الى سيوسينان . لا شك اننا مطوقين . ولم يخبرونا كي نأخذ احتياطاتنا » .

سألته : من قال ذلك ؟

اجاب : الاشاعات والانصار والفلاحون .

قلت : ولماذا سحبت الانصار معك ؟

اجاب كالمغلوب على امره : تمردوا ، واتهموا الجميع بالخيانة .

قلت لجلال : قبل كل شيء يجب ان تقنع البيشمركه بالبقاء ، وبعد ذلك نتأكد من الموضوع . انهض معي لنتحدث مع انصارنا .

خرجنا من الغرفة ، وكانت تجمعات الانصار مبعثرة حول المقر ، وسرعان ما التفوا حولنا ، فشكل رفاقنا طوقا لمنعهم من الاقتراب اكثر ، وللسيطرة على الموقف اذا تطلب الامر ذلك . ثم بدأت اتحدث مع البيشمركه :

تعلمون ايها الرفاق ان قطعات الجيش تحتل الان سلسلة جبال (ناوطاق — قتيرد — سولياوا — كله زه ردد) . والمسافة بيننا وبين القوات المعادية تبلغ حوالي ثمانية كيلومترات ، وبالتالي . فلو ارادت القطعات المعادية الحركة باتجاهنا فان دوريتنا الاستطلاعية . ورفاق منظماتنا المنتشرين بالمنطقة سيخبروننا عن تلك التحركات ، بالسرعة المناسبة . الا ان شيئا كهذا لم يحدث ، وهناك مسألة اخرى متعلقة بالضبط ، فليس صحيحا التخلي عن مواقعنا بدون اي مقاومة اولا ، وقبل اعلام الهيئات القيادية واخذ رايها ثانيا . ان تصرفا كهذا يعتبر مخالفة منافية للعرف العسكري . ارجو الاحتفاظ بمواقعكم . ومن جانبنا : آمريتكم وانا . سنتخذ التدابير الضرورية ، ونعلمكم بالنتيجة .

دار لغط بين البيشمركه . وتعالت اصواتهم . واصر العديد منهم على الذهاب الى مقر اللواء مباشرة ، وحاولت جاهدا اقناعهم الا انهم لم ينصاعوا لصوت العقل .

همس لي آمر السرية جلال : ان قسما كبيرا منهم عناصر مندسة . تحاول تحطيم معنويات الانصار .

آنذاك خاطبت الانصار قائلا : لن نسمح لكم بالذهاب ، اني آمركم بالبقاء هنا . وسنذهب الاخ جلال وانا الى آمر اللواء ، لنخبركم غدا بكل شيء . كما انني احذركم من مغادرة هذا المقر .

هكذا استطعنا السيطرة على الموقف .

في صباح اليوم التالي وصلنا الى مقر اللواء في منطقة (اوه سي هومه رقه لا جلال وانا . وقابلنا آمر اللواء العقيد نوري معروف ، فسألنا عن سبب مجيئنا بدون دعوة سابقة . قلت معاتبا القائد : لقد تركتم المنطقة ، ونقلتم مقركم دون ان تخبرونا فحدث شغب افتعله انصار جلال ولي .

بدا القلق على وجهه ، لكنه عاد وابتسم ، وقال : كان الواجب ان اخبركم بموضوع النقل . ارجوا ان تقبلوا اعتذاري .

وقطع حديث آمر اللواء ، مجيء آمر الانصار الذي وقف بالباب قائلا : ان آمري السرايا ينتظرون الاجتماع . هل اسمح لهم بالدخول ؟

قال آمر اللواء : ادخلهم .

ثم خاطبنا : حسنا فعلتم بالمجيء ، والا كنت ارسلت طلبا بحضوركما . فلدينا اليوم اجتماع عام لكل آمري السرايا . شرع آمرو السرايا يدخلون الغرفة ، ونهضنا لاستقبالهم . وبعد ان جلس الجميع ، فاجأنا القائد بقوله :

ـ لنناقش الان مسالة ترك المنطقة ، وسحب القوة الى ما وراء البحيرة .

لم اكن احسب ان كلمات كهذه يمكن ان تصدر عن فم العقيد نوري ، لذا بقيت احدق فيه مشدوها .

لم اكن ، اطلاقا ، مستعدا لقبول هذه الفكرة : التخلي عن مساحة واسعة من الارض ، ذات سلاسل جبلية كثيرة ، صالحة للمقاومة والعمليات الدفاعية لاسابيع وشهور بل لسنوات . هذاعدا عن ان الوضع العسكري للسرايا لم يكن مترديا الى درجة تتطلب مثل هذا الانسحاب . بلا مقاومة ، او حتى بلا اطلاق طلقة واحدة .

وقبل ان استفيق من اثار الدهشة الاولى ، فوجئت بصورة اعمق ، حين بدا آمرو السرايا يناقشون الموضوع .

قال احدهم : يجب ان نترك المنطقة بهدوء ، لذا اقترح التخلص من المدافع والاجهزة الثقيلة كي لا تعيق انسحابنا . وافق آمرو السرايا . ثم قال آمر سرية آخر : نستطيع التخلص من المدافع والاجهزة اللاسلكية اما بتحطيمها او دفنها في اماكن امينة كي نستفيد منها بعد اجراء هجومنا المقبل .

خلال المناقشة ظهر نوعان من المعارضة ، معارضة شكلية تتعلق باختيار الطريق المناسب للانسحاب ، واسلوب التخلص من المدافع والاجهزة الاخرى . والنوع الثاني كان معارضة الانسحاب بدون قتال ، ويمثله رفيق بشدري واشرف قاره ماني وجلال ولي ، لكن اكثرية الآمرين كانوا الى جانب اجراء الانسحاب والتخلص من الاجهزة الثقيلة . وكان على هؤلاء ان يسلكوا ، في حالة اجراء مسيرة الانسحاب احد طريقين : اما باتجاه (سنكاو ، بازيان ، شوان) او بواسطة طريق (ناوطاق ، احمد برنه، وازول ، البحيرة ، نيركه جار) ، وفي النهاية وقع اختيارهم على الطريق الثاني .

بعد ذلك التفت آمر اللواء نحوي وسالني :

وانت ، يا رفيق ، ما الذي تستطيع فعله لانجاز انسحاب السرايا ؟

اجبت : يستطيع رفاقنا ايصال البيشمركه الى البحيرة ، وبامكان رفاق منظماتنا هناك تامين قوارب الصيد المبعثرة في البحيرة ، وتسهيل عملية عبور البيشمركه الى

الجانب الاخر ، مع الاعتراف بصعوبة هذا العمل ، نظرا لقلة القوارب ، وضخامة عدد الانصار المنقولين . اما المدافع الثقيلة واعتدتها ، والاجهزة اللاسلكية وملحقاتها فنستطيع الاحتفاظ بها لحين عودة البيشمركه ثانية .

كان لكلامي وقع الصاعقة .

سألني آمر اللواء امام الجميع : وانتم ... ماذا ستفعلون هنا ؟

قلت : لم يهزمنا العدو بعد . اسمحوا لي ان اقول اننا باقون في اماكننا ، ولو كلفنا ذلك دماءنا .

اعتلت وجوه آمري السرايا حمرة قانية . ولمحت ابتسامات ترتسم على وجوه آمر اللواء ورفيق بشدري واشرف قاره ماني وجلال ولي ، تعبيرا عن التضامن معي .

قال آمر اللواء : ان قوتكم لا تزيد على اربعين نصيرا ، في مواجهة اربعة افواج من الجنود ، اضافة الى المرتزقة ، والقرى المعادية في المنطقة ... كيف ستصمدون وتقاومون ؟

اجبت : حقا ، ان قوتنا صغيرة ، لكن هذا العامل نفسه يساعدنا في التنقل وبالسرعة المطلوبة ، بين جبال هذه المنطقة ووديانها الوعرة ، اما الامر الاخر الهام فهو ايماننا بضرورة الصمود والكفاح .

ترك جوابي اثرا فوريا في نفوس الجالسين ، وسرعان ما انضم الي ، كل من : رفيق بشدري واشرف قاره ماني وجلال ولي . وقال لي رفيق بشدري على مسمع من الجميع : برغم علمنا بوجود عناصر مندسة في صفوفنا ، ومحاولة هذه العناصر بث روح الانهزامية بين الانصار ، الا اننا سنبقى معكم ، سويا ، في المنطقة ، بدافع الوطنية والتضامن .

شكرت الاخ رفيق بشدري .

لكن آمري السرايا الاخرين ، اثاروا مسالة الارزاق ايضا .

قلت لهم : منذ اربع سنوات وانتم ضيوف ثقلاء على الفلاحين ، فماذا لو قضيتم هذا الشهر كسابقه ؟

في تلك اللحظات كشف آمر اللواء عن موقفه صادقا وصريحا وقال : يجب ان تعرفوا جيدا ، وعلى الضد من عملية الانسحاب المخزية ، انني ساحتفظ بهذه المنطقة مهما كلفنا ذلك ، وحتى اخر نصير ، واخر اطلاقة . عليكم ، منذ الان ، ان تزيلوا مسالة الانسحاب من رؤوسكم ، وعلينا ان نتدبر امور الدفاع عن المنطقة ، والعمليات التي تؤمن ذلك ، اعني عملية الهجوم المقابل ، وتدمير العدو ، واجباره على الانسحاب .

سكت آمر اللواء ، وسمعت جلال يقول منفعلا : احسنت .

خضع آمرو السرايا للامر الواقع ، فبدأوا يضعون الخطط ويقترحونها بما يناسب رغبات القائد ، الا انهم ثبنوا سحب قوتنا من موقعها ، وحشرها مع جميع القوات الاخرى ، في رقعة ضيقة من الارض ، تطبيقا لخطتهم الدفاعية .

سألني آمر اللواء : اتوافق على ذلك ؟

اجبت : كلا .
وتساءل : لماذا ؟
اجبته : لاننا نسيطر على الطريق الوحيد الصالح للانسحاب الى منطقة السليمانية ، وبالتالي فان ابتعادنا عن مواقعنا الحالية قد يدفع العدو الى احتلاله ، وبذلك يستطيع عزل مجموع قوة اللواء عن لوائي خه بات ورزكاري .
عندها قال آمر اللواء : راي صائب .
وفجأة ارتفعت اصوات الانصار في الخارج ، وسمعنا صرخات انذار متتالية ، واقتحم جماعة الملازم طاهر رؤوف مكاننا ، وانحشروا داخل الحجرة الصغيرة ، وقبل ان يسالهم احد ، قال احدهم : لقد هجم علينا المرتزقة .
واستفسر آمر اللواء بكل هدوء : واين هم الان ؟
اجابه احد الانصار : يحاولون ان يتسلقوا جبل سيوسينان . كان هذا الجبل يبعد عن مواقع الانصار بحوالي تسعة كيلو مترات .
وعاد آمر اللواء يسال : وكيف عرفتم بذلك ؟
اجاب النصير نفسه : رايناهم بواسطة الناظور .
عند ذلك قال آمر اللواء : لو فرضنا ان المرتزقة يتقدمون نحونا ، فان تقدمهم سيستغرق يومين في اقل تقدير . فلم الجزع يا رجال ؟
انكمش الانصار في اماكنهم ، كالاطفال .
قلت بدوري : فلنتاكد ، يا قائد ، من الموضوع باكمله .
قال آمر اللواء : لا باس (ثم طلب من احد الانصار ناظوره) . وخرجنا الى الساحة .
كان جبل سيوسينان يبدو امامنا ، في البعيد ، مثل سد ترابي مليء بالصخور .
رفع آمر اللواء الناظور الى عينيه ، وبدا يفتش السفح المقابل ، ببطء .
وبعد فترة من الزمن قال :
ارى مرتزقة برؤوس خضراء واغصان متفرعة !
ظهر لنا ، بصورة جلية ، انهم كانوا يحاولون بث الذعر في صفوف الانصار ، حين اختلقوا حكاية المرتزقة . فطلبت انا ورفيق بشدري من آمر اللواء ان يضع حدا لتلك الاعمال ، وقلت اخيرا : اذا اردت ايها القائد ان يتحسن وضع الانصار ، فعليك ، اولا ، ابعاد الملازم طاهر عن المنطقة باكملها .
قال آمر اللواء : سأسفره غدا الى باله ك. لقد وافق البارزاني على تسفيره .
وقبل ان انصرف قلت للقائد : ستقوم قوتنا ببعض العمليات العسكرية ، وارجو ان نحصل على موافقتكم .
وسال آمر اللواء : ما الغرض منها ؟
اجبت : الضغط على العدو ، واجباره على الانسحاب من المناطق التي احتلها مؤخرا .
قال آمر اللواء : جيد ... موافق .
بعد ذلك ، حان وقت انصرافنا ، انا والاخ جلال ، فنهض آمر اللواء، ورافقنا الى خارج الغرفة ، ثم ودعناه ، وبدانا نسير عائدين الى مقر قوتنا .

الانتقال الى الهجوم

في اواخر حزيران ١٩٦٥ ، وضعنا خطة لضرب ربيتين للمرتزقة تقعان بالقرب من ناوطاق ، وكانت تفاصيلها كالاتي :

أ — ينفذ العملية تسعة انصار بقيادة الرفيق (م) .

ب — بعد ان يقترب الانصار من الربيتين المقصودتين تنقسم المفرزة الى مجموعتين ، المجموعة الاولى بقيادة (و) وتضرب الربية الاولى ، والمجموعة الثانية بقيادة (س) تضرب الربية الثانية . ويبدأ الرمي من خلف سياج الربيتين تماما ، ويستمر عشر دقائق .

ج — الصوت الرمزي للمباشرة بالرمي ، وللانسحاب ايضا ، هو نعيب البوم لفترة قصيرة .

د — طريق الانسحاب هو نفسه طريق التقدم .

وكان من الممكن ان نقوم باقتحام الربيتين ، لكننا لم نقدم على ذلك لاسباب اهمها :

١ — ان تنفيذ هذه العملية يتطلب منا استخدام قوة كبيرة نسبيا .

٢ — وجود ربايا اخرى للجيش حول تلكما الربيتين ، بحيث ان اطالة وقت المعركة تعطي العدو فرصة تحشيد قواه واحكام مصيدته وتطويق قوتنا .

٣ — وجود حقل للالغام حول الربيتين يعيق عملية الاقتحام ، ويكلف اختراقه عددا من الضحايا بلا مبرر .

ليلة ٦/٢٧ تحرك الانصار ، لتنفيذ العملية وضرب الربيتين ، وبعد مسيرة ساعتين اقتربوا من العدو الى مسافة ٦٠٠ يارد ، وبواسطة الاشارات الصامتة طبق الانصار مبدأ الكتمان بنجاح ، وبدأت أقدامهم تنتقل ، صامتة ، فوق الارض الصخرية . وعلى بعد معين من الهدفين انقسمت المفرزة ، حسب الخطة ، الى مجموعتين ، اتجهت الاولى الى اليمين قليلا ، بينما اتجهت الاخرى الى اليسار ، واخذت المجموعتان تقتربان من الاسلاك الشائكة في محيط الربيتين ، وقبل ان تستطيع عيون الحراس المعادين واذانهم اكتشاف اي حركة ثبت الانصار اقدامهم خلف السياج . وعلى اثر سماعهم نعيب البوم ابتدأوا الرمي المتواصل السريع .

فوجيء العدو بنيران الانصار وهي تنصب على فوهات المزاغل والفتحات الاخرى في الربية ، ثم استمر الرمي ، حسب الوقت المخصص في الخطة . وعندما سمع الانصار صوت البوم ثانية تراجعوا بسرعة فائقة ، واذ التقت المجموعتان في الخلف ، ابتعدت المفرزة بكاملها ، عائدة الى القاعدة ، بينما كانت المنطقة المحيطة بالربيتين قد تحولت الى جحيم ملتهب من رميات مدفعية العدو وخطوط نيران الرشاشات . الا ان الانصار كانوا ، في تلك الدقائق ، يسيرون وسط مجرى المياه الجاف في الوادي ، آمنين .

عادت المفرزة بدون اي خسارة ، سوى ان آمرها الرفيق (م) لم يستطع اللحاق بمفرزته ، فتأخر في الطريق حينا ، وحسبناه في البداية مفقودا . وقد حوسب بعد ذلك

على اهماله .

بعد تلك المعركة قمنا بعملية اخرى .

فقد سبق للمنظمات أن أوصلت الينا معلومات ، عن وجود ربية للمرتزقة العرب، الى الشمال من جمه ركه ، وقد اعتاد آمرو هذه الربية اعتراض المارة ، والاعتداء عليهم بصورة وحشية ، وسلبهم ، وقتلهم ، واخذ من ينجو من الموت الى سجن المدينـــة .

درسنا الموضوع جيدا ، وقررنا تاديب افراد تلك الربية باي ثمن . ولكن كان علينا اولا ان نحل مسالة هامة تتعلق بصيانة انصارنا المهاجمين ، اذ كانت الربيـــة المذكورة محاطة بربايا اخرى كبيرة ، تؤمن لها اسنادا فوريا عاجلا من جميـــع الجهات . الا ان هذا العامل السلبي كان بالنسبة لمبدا المباغتة عاملا ايجابيا ، اذ لا يمكن ان يخطر على بال الاعداء قيام الانصار بالتعرض الى ربية محاطة من جهاتها جميعا بربايا ساندة ، ولذلك قدرنا أن تكون الحراسة والمراقبة في تلك الربية مهملة وغير مشددة . ثم وضعنا الخطة التالية :

ا ــ يقوم اثنا عشر نصيرا ، بقيادة الرفيق (و) بعملية ضرب الربية المعادية .

ب ــ تتسلل المفرزة من بين ربايا العدو الاماميه ، مستفيده من الظلام الدامس، وباتباع المسيرة الليلية العامة ، خلال التقدم نحو هدفها .

جـ ــ يتقدم النصيران هـ ، ع من مزاغل الربية ، بكل هدوء ، ثم يرميان قنابلهما اليدوية ، عبر المزاغل ، الى داخل الربية .

د ــ بعد انفجار القنابل مباشرة ، يشرع بقية الانصار بالرمي واصطياد المرتزقة الفارين من الربية ، وتنسحب المفرزة بعد مرور خمس عشرة دقيقة من بدء الهجوم .

ليلة ١٩٦٥/٦/٣٠ ، شرع انصارنا يتحركون الى الربية الهدف ، وبعد مسيرة ساعتين اقتربوا من الربايا المعادية ، ثم اخترقوا الارض الماثلة بينها ، صامتـــين ، حذرين ، وبداوا يقتربون من الربية الهدف : مائة يارد .. ثمانون يارد ... ستون يارد ... اربعون يارد ... عشرون يارد ، بينما تقدم النصيران الفدائيان الى امام، زحفا ، وبعد ان اصبح كل واحد منهما تحت احدى المزاغل رميا القنبلتين الى الداخل ، وبعد ثوان مزق سكون الليل صوت انفجار قنبلة واحدة ، اذ لم تنفجر الثانية ، وبدا الانصار يطلقون نيران بنادقهم على الربية بغزارة ، لقد جرى تسلسل الحوادث كمـــا قدرنا ، فقد ترك المرتزقة ربيتهم ، لائذين بالفرار باتجاه المعسكر تتبعهم نيران اسلحتنا. وانجزت المفاجاة فعلها حتى بالنسبة للربايا المعادية الاخرى ، ولم تهب للقتال الا بعد مرور عشر دقائق من بدء هجومنا ، وبعد ذلك انهالت ، مرة واحدة ، اطلاقات مدافع الهاون المتوسطة ، وصليات مختلف الرشاشات تمشط المنطقة المحيطة بالربية ، بنيران كثيفة . شعر الانصار بحراجة موقفهم ، فتخلصوا من نيران العدو ، منسحبين نحو الجانب الاخر ، ثم التجاوا الى احدى القرى هناك . وفي الليلة نفسها ارسلوا نصيرا الى آمر اللواء يحمل وصفا كاملا للمعركة ، ورجعوا الينا ظهيرة اليوم التالي .

ادت المعركة الغرض المطلوب ، وكانت خسائر العدو خمسة افراد بين قتيـــل وجريح ، ولم تقع في صفوف انصارنا اي اصابة . ان العدو المرعوب لم يجرؤ على

اخلاء قتلاه من تلك الربية الا بعد عشرين ساعة من انتهاء الهجوم .
اما البقية الباقية من مرتزقة تلك الربية فقد رفضوا العودة الى ربيتهم ، وتركوها نهائيا .

بعد ذلك استمرت قوتنا ، المتكونة من سريتنا وسرية الانصار الرابعة ، في توسيع نشاطها ، وتوجيه الضربات المتتالية المباغتة لقطعات الجيش والمرتزقة في المنطقة . وعندما توقف الجيش عن هجماته ، انسحبت قواه الموجودة في باوه خوشين و جمعركه ومعها القوات المتمركزة على قمم الجبال ، الى الخلف ، فاحتلت قواتنا هذه الاماكن المهجورة ، سريعا ، ثم نقلنا مقرنا الى ناوطاق ، وشرعنا نوزع قواتنا ومفارز الحراسة على الاماكن الحساسة ، مقابل القوات الحكومية ، وكنا نراقب تحركاتهم بيقظة عالية.

تفقد العقيد نوري مواقعنا ، وابدى ارتياحه التام لوضعنا ، وامتدح انصارنا قائلا : « انكم لانصار حقيقيون » .

بعد مرور اسبوع على اخر عملية ، قررنا ضرب ربايا العدو الاربع عشرة ، المشرفة على النفق قرب دربنديخان ، ووضعنا الخطة التالية :

ا ــ مباغتة العدو ظهرا .

ب ــ تتقدم اربع مفارز بقيادة (و ، م ، هـ ، ع) ، كل مفرزة باتجاه ربية واحدة ، وبمعدل سبعة انصار لكل مفرزة . وعندما تقترب المفارز من اهدافها الى بعد مائة يارد ، تنهيا لاطلاق النار في الساعة ١٣٠٠ ، ويستمر ضرب العدو بالنيران الى الساعة ١٨٣٠ ، حين تنفذ مباشرة عملية الانسحاب الى الخلف .

في اليوم المقرر للهجوم ، وبعد الظهر ، تقدمت مفارزنا الاربع ، باتجاه الربايا المعادية ، ثم قطعت الارض الحرام ، وبدات تقترب من اهدافها ، وجرى بعد ذلك التنفيذ الدقيق للخطة :

فاجات نيران اسلحتنا ، وفي وقت واحد ، افراد الربايا الكسالى ، ثم استمرت اطلاقات بنادق الانصار تنصب على الربايا بدون توقف . وخلال ذلك كانت مدفعية العدو تطلق النار ، كثيفة ، على جميع الجهات . لكن انصارنا كانوا في مامن ، بسبب اختيارنا الصائب لموضعنا ، على ذلك البعد القريب من ربايا العدو ، فلم يستطع ان يخفض مدى مدفعيته لئلا تصيب قطعاته . استمرت المعركة حتى الوقت المقرر ، ثم انسحبت مفارزنا ، مستفيدة من الظلام الاول لغروب الشمس ، ووصل الجميع الى مقرنا سالمين .

كانت تلك المعركة النهارية هي الاولى الناجحة من نوعها ، في منطقة خاضعة لسيطرة قطعات الجيش بشكل تام . خرجنا من المعركة بدون اي اصابة ، بينما كانت خسائر العدو ثلاثة قتلى : ضابط وجنديين ، واصابة ضابط وجندي بجراح .

لقد خلقت لنا هذه المعركة ، والمعارك السابقة ، شعبية واسعة بين الجماهير ، فتعزز نفوذنا ، حتى في اوساط البيشمركة .

حادث عرضي

كان اطلاق الرصاص ، بدون سبب ، ممنوعا على الانصار . وكانت مواقع

المرتزقة امامنا ، على مبعدة اربعة كيلومترات من مقرنا . وثمة مراكز او نقاط رصد معادية منتشرة في مواقع حصينة ومخفية، وكانت مفارز تلك النقاط ما ان تحس او تشاهد اقل حركة على السفوح حتى تتصل لاسلكيا بمواقع مدفعيتها وتطالبها بقصف المنطقة المشبوهة ، او التي تشك بوجود انصار فيها .

في اواخر الشهر الماضي ، اخبرني احد الرفاق بان مصطفى القره داغي سيصل الى منطقة قره داغ في واجب رسمي ، فسررت بالخبر ، نظرا لصداقة تجمعنا ، ولقاءات عديدة بيننا ، يوم كان رئيس مجلس قيادة الثورة الكردية ، وكنت انا ممثلا لحزبنا لدى الثورة وحزبها (ح. د. ك).

مرت الايام ، وفي ظهر احدها ، سمعنا اصوات اطلاقات نارية اتية من منطقة محمود ره شه ، فارسلت احد الرفاق مستطلعا ، وحين عاد ، وهو يلهث قال :

« اطلق الرفاق النار على رجل كان يريد الهرب الى مواقع المرتزقة ، ويدعي هذا الرجل بانه من العناصر القيادية للثورة واسمه مصطفى » . وفجأة قفز الى ذهني اسم صديقي مصطفى القره داغي .

سألت الرفيق : وهل جروحه بليغة ؟

اجاب : جروح بسيطة في قدميه .

ابى عقلي ان يتحول ذلك الرجل الوطني الصادق ، فجأة ، الى خائن . اخذت معي الرفيق المضمد الى مكان الجريح ، وهبطنا الجبل مسرعين ، وبعد ان قطعنا مسافة قصيرة ، شاهدت تحت الشجيرات مصطفى القره داغي ، مسجى على الارض، جريحا في قدميه . قال لي معاتبا : اهكذا تستقبلون الاصدقاء ؟

وبينما كان الرفيق المضمد يعالج الجروح ، اخذ مصطفى القره داغي يسروي حكايته بصوت متعب :

كان مقررا ان اقوم برحلة الى منطقة حلبجة ، ولما كانت الطرق الاخرى كلها مغلقة ، وغير سالكة ، بسبب سيطرة الجيش والمرتزقة عليها ، بقي امامي طريق واحد يمر بمنطقتكم ، لكني بدلا من زيارتكم ، والاستعانة بجهودكم لتامين سفري ، اعتمدت على شخص اسمه حسن اثق به ، وارسلته الى قرية (به رده كه) ليحضر لي دابة ركوب من هناك ، على ان نواصل المسير بعد ذلك عن طريق شهرزور الى منطقة حلبجة . كانت ظروف عملي تتطلب اخضاع السفرة باكملها للسرية التامة ، ولهذا لم ازركم . على اي حال .. بعد ان ارسلت حسن الى تلك القرية بقيت انتظره طويلا ، وتصورت انه وقع في قبضة العدو، وقد يخبرهم بمكاني ، فتصطادني فصائل المرتزقة بسهولة ، فاما ان يقتلوني ، او يرسلوني بطائرة هليكوبتر الى بغداد ، حيث اعذب حتى الموت ، او اظهر على شاشة التلفزيون امام الاف المشاهدين ، وانا اخدع الجماهير ، واشتم الثورة الكردية ، واتهم قادتها بالخيانة .

قررت ، تبعا لتلك الهواجس ، ان ابتعد عن مكاني الذي يعرفه حسن ، لاتمكن من مراقبته ، والافلات من اي مكيدة ، في الوقت المناسب .

وبعد مضي وقت ، شاهدت حسن عائدا ، يصحبه مسلح ، فثارت شكوكي كلها،

وابتعدت مسرعا عن الطريق ، متجها الى هذه المنطقة ، وعندما شاهدني حسن ، ناداني بأعلى صوته ، فلم اعر نداءه اي اهمية ، وسرت في سبيلي . وعندما اقتربت من نقطة حراستكم ظننتها نقطة خاصة بالمرتزقة ، فابتعدت الى الجهة المقابلة .

وفي هذه الاثناء شاهدني انصاركم ، فأمروني بالوقوف ، وكانت اسلحتهم مشرعة، مهيأة للرمي ، قلت لنفسي : « لقد وقعت في قبضة المرتزقة يا مصطفى » ، وسحبت مسدسي الصغير ، وشرعت اجري طالبا النجاة لنفسي ، ثم سمعت الانصار خلفي يكررون أمرهم السابق طالبين مني الوقوف ... والا ... هكذا اطلقت علي النار .

وقد تأكدت من الامر بعد ان طلبت من الانصار تفسيرا . لقد كان الامر خطيرا .

فلو قدر لمصطفى ، في تلك اللحظات التي سقط فيها جريحا ، ان يقدم على الانتحار تخلصا من الاسر الموهوم ، لكان عسيرا علينا انقاذ سمعتنا من تهمة قتله ، ولاثارت العناصر اليمينية في قيادة الثورة ، مشكلات غير محمودة العواقب .

اخيرا قلت لمصطفى : لقد وجدت لك حلا .

قال متسائلا : حل ؟ ولكن لاي مسالة ؟

اجبته : لدى ملابس اضافية صالحة لان تلبسها بدل ملابسك التي تمزقت في ضيافتنا .

ضحك وقال : اشكركم ... انه فعلا حل ديمقراطي حكيم .

●

امنا لمصطفى القره داغي ، حيوانا للركوب ، واخترنا نصيرين ، يرافقانه ويوصلانه الى منطقة بياره ، وعندما حان وقت رحيله صافحنا بحرارة وامتطى البغل وانطلق في سبيله .

وكنت قد طلبت من مصطفى ، قبل سفره ، ان يكتب الى آمر اللواء رسالة مفصلة بالحادث ، فكتب الرسالة ، وسلمها لي ، لارسلها بدوري ، مع احد الانصار ، الى مقر اللواء .

وداعا ايها الانصار

في تلك الايام من تموز ١٩٦٥ ، وصلتني رسالة من قيادة الاقليم ، في قلعة دزه ، تتضمن طلب حضوري الى مقر قيادة الاقليم ، على وجه السرعة. وفي اليوم نفسه عقدنا اجتماعا لبحث المسالة ، وطرح الرفاق اراءهم ، ثم جرى الاتفاق على ان يكون الرفيق ملا علي مسؤولا حزبيا اولا ، وان يتولى الرفيق نجم الدين فيضي المسؤولية العسكرية في السرية ، يعاونه في واجباته رفيق اخر . ثم كتبت رسالة الى آمر اللواء ، اخبره فيها بمسالة سفري ، وسميت له الرفيق ملا علي مسؤولا طيلة غيابي بعيدا عن السرية ، لكني كنت اعلم مسبقا انني لن اعود الى قيادتها ثانية .

بالرغم من ذلك ، كانت ثمة ضرورة واحدة تحتم علي العودة الى السرية ، فقد ارتايت ان اؤجل عملية التسليم الى وقت لاحق ، والى حين تهيئة المقر الشتوي لتامين سكن الانصار والعناية بهم ، طيلة موسم الامطار والثلوج .

بعد سنوات ... وسنوات ... أعود بذاكرتي الى ميلاد سرية الانصـــار العاشرة ، وتأسيس قاعدتنا ...

كنا ثلاثة عشر نصيرا ، ملكيتنا : قدر واحدة ، ابريق شاي واحد ، حصيرة نوم قديمة ...

ثلاثة عشر نصيرا ، قاموا بواجبهم ، واسسوا سريتهم المجيدة بروح الشيوعية الظافرة .

هەوالنامەی کتێب

الجزء الثاني

توطئة

في ٤ — ٨ — ١٩٦٥ ، سافر الرفيق ملا احمد باني‌خه يلاني (ابو سرباز) قائد السرية العاشرة الى قلعة دزه،حسب طلب قيادة الاقليم ، بعد ان سلم جميع مسؤوليات سرية الانصار العاشرة الى الرفيق ملا علي .

وفي هذا الجزء ، نتعرض لهذه الفترة من كفاح السرية الشيوعية بقيادة الرفيق ملا علي ، معتمدين سجل هذه الفصيلة من فصائل الانصار الشيوعية ، الذي دونه قائدها .

برقية فورية

النصير والفجري كلاهما جوال ، وكلاهما صياد .

وهكذا تسلمت سريتنا في ٥ — ٨ — ١٩٦٥ برقية فورية من آمر لواء قره داغ يأمرنا فيها بالانتقال الى دربندوشك ★ ، للعمل مع سرايا البيشمه‌ركه هناك . وكانت هذه السرايا قد التحمت ، قبل فترة قصيرة، مع العدو (لواء مشاة، متجحفلة معه قطعات من المرتزقة) قرب قره داغ ، وكانت تحاول ، جاهدة، من خلال هجمات متتالية عليه ، اجباره على الانسحاب الى ما وراء قره داغ. تحركت سريتنا الى موقعها الجديد ، وخلال المرحلة الاخيرة من المسيرة كنا نمر بحقول وبساتين خاوية، وقرى مهجورة، محروقة او مدمرة. ليس ثمة انسان او حيوان . كان العدو قاسيا، والمأساة مريرة .

استغرقت مسيرتنا الى دربندوشك تسع ساعات كاملة . وحين وصلنا لم يكن باستطاعتنا الاسهام مع قطعات البيشمركه في القتال الدائر ضد العدو ، اذ جوبهنا بالاهمال التام من قبل آمري وحدات البيشمركه ، وكان تصرفهم هذا مخالفا حتى بعض أوامر آمر لواء قره داغ .

بقينا بلا عمل ، نعاني كسلا وجوعا مفروضين فرضا . كنا نشوي خبزنا على صفيحة من التنك . ان حطب الغابة متوفر ، الا ان خبزنا كان اما ارغفة محروقة، او عجينا لدنا . كما ان البعوض حرم عيوننا النوم .

بعد مضي عدة ايام على مجيئنا ، وبعد ان رفض الاخرون التعاون معنا

★ دربندوشك : تعني باللغة الكردية المضيق الجاف .

واشراكنا في العمليات العسكرية ضد العدو ، قمنا بفعاليات مستقلة في المنطقة .

في البداية ارسلنا مفارز استطلاع جيدة حول قره داغ . اخبرتنا احدى المفارز بان المدعو معروف قازان قايه ، وهو من المرتزقة المتعاونين مع العدو ، يبيت ليلا في ربايا الجيش ، ثم يعود فجرا الى داره بمدينة قره داغ نفسها ، وان بالمستطاع مباغتة داره ساعة عودته، واسره بسهولة .

قرر الرفاق تنفيذ هذا الاقتراح ، وخصصنا لهذه العملية حضيرة انصار بقيادة الرفيق شيخ باقر شيخ حسن . وكانت الخطة كالاتي :

ا ــ يتقدم شيخ باقر شيخ حسن مع رفيق اخر لاقتحام دار الجاسوس .

ب ــ تقوم حضيرة الانصار بحماية الرفيق طيلة وقت العملية .

في يوم ١٥ ــ ٨ ــ ١٩٦٥ تحركت حضيرة الانصار بعد منتصف الليل ،واقترب الانصار من الربايا المعادية بعد مسيرة ثلاث ساعات ، ثم مروا من بينها دون نأمة، فشرعوا ينفذون الخطة . اتجه الرفيق شيخ باقر شيخ حسن ، صحبة الرفيق الاخر، نحو دار معروف قازان قايه لاقتحامها ، بينما اتجه بقية الانصار الى اليسار قليلا، كي يختاروا موقع دفاع مناسبا . الصدفة وحدها نبهت احد المرتزقة الى حركتهم . اطلق بضع اطلاقات . كانت الضجة كافية لانذار الربايا المعادية المنتشرة في المنطقة، ودفعها الى مجابهة حضيرة الانصار . ان الحضيرة في فخ غير منتظر . الرفيق شيخ باقر مع رفيقه يتقدمان مسرعين نحو الهدف ، وبغتة هزت الفجر الصامت بضع اطلاقات تلتها زمجرة متتابعة من اطلاقات الرشاشات الثقيلة والمتوسطة . بدا افراد العدو يوجهون نيران اسلحتهم ، خطوطا كثيفة ، نحو حضيرة الانصار . في تلك اللحظات احس الرفيق شيخ باقر بان المهمة كلها قد فشلت . المهمة الجديدة هي النجاة من ابادة مؤكدة . هكذا اشار الى رفيقه بان يتبعه، فعادا مسرعين الى الخلف . في هذه اللحظات ذاتها شرع الانصار يطلقون النيران باتجاه الربايا القريبة، وحين التحق بهم الرفيقان ، امر شيخ باقر بالانسحاب الى القاعدة ،لكن العدو زج احدى دباباته التي اغلقت طريق العودة، مطلقة نيران مدفعها ورشاشها الثقيل باتجاه رتل الانصار الصغير . الموقف حرج دقيق . لكن الرفيق شيخ باقر المتمتع بخصائص قائد فذ ، اخضع عملية انسحاب الانصار الى تراجع منظم بصورة جيدة : « انحرفوا قليلا الى اليمين ، تجاهلوا الدبابة يا رفاق ، اسرعوا ، لا تتوقفوا هيا .... » .

هكذا ، بفضل بسالة الانصار وقيادة الرفيق شيخ باقر ، نجت المجموعة من الابادة المحققة ، باقل خسارة ممكنة . وحينما وصلت الحضيرة الى قاعدتنا كان الرفيق كريم عزيز يعرج في مشيته ، فلقد اصيب ، خلال الانسحاب باطلاقة نارية في ساقه . كان جرحه هينا ،وقد عولج ، وشفي بعد بضعة ايام .

طيلة الشهرين اللذين قضتهما سريتنا في دربندوشك كانت مفارزنا تغير على العدو ، في اطراف قره داغ، بمعدل عمليتين كل اسبوع .

وكنا نطبق مبدا الاقتصاد في العتاد، حاسبين حساب الرصاصة التي نطلقها، اذ ان اعباء تفقاتنا، بما فيها صرفيات العتاد، كان يتحملها حزبنا وحده ، بينما كانت قيادة الثورة الكردية مسؤولة عن تموين قطعاتها ، حسب .

كان مقرنا في دربندوشك ، غرفة صيف، جدل الرفاق جوانبها وسقفها من

الاغصان الطرية . وها هي ذي بوادر الشتاء الاولى. اخترنا مقرا موقتا في قرية استيل العليا، وارسلنا كذلك عشرين نصيرا الى قرية «جه مي سمور» الخالية من السكان ، لغرض حماية جناحنا الايسر ، واثني عشر نصيرا الى قرية «تافان» التي لا تبعد سوى خمسة كيلومترات عن معسكر الجيش في قره داغ، لحماية جناحنا الايمن، ومراقبة حركة القطعات المعادية .

في النصف الثاني من تشرين الاول ١٩٦٥ كنت في مقري، ظهرا، حين دخل علي احد الانصار :

« ايها الرفيق آمر السرية ، التحق بنا جندي فار يحمل غدارة » . كان معسكر الجيش في قره داغ يبعد عن قريتنا ثمانية كيلومترات تقريبا، وربما غادر هذا الجندي، المعسكر ، فجرا، واتجه الينا صدفة.

قلت للنصير : جيء به .

بعد قليل كان يقف امامي ، شاب اسمر ، تتدلى بدارته من كتفه .

— السلام عليكم .

● وعليكم السلام .

طلبت منه ان يجلس . وقدمت له سيجارة اخذها شاكرا .

● اهلا بك بين صفوفنا .

— اشكركم يا اخوان .

● انت من منتسبي معسكر قره داغ ؟

— نعم من قطعات قره داغ .

● متطوع ام مكلف ؟

— متطوع .

● اتعلم من نحن ؟

— بيشمه ركه .

● بيشمه ركه وشيوعيون . اتريد البقاء معنا ؟

— نعم .

وسألته اسئلة اخرى، استنتجت منها ان حادثا ما قد دفعه الى الفرار من الجيش، والالتحاق بقوى الثورة ، دون هدف . ان اجاباته ، عموما ، لم تعجبني.

وقد صدق حدسي، اذ لم تمر سوى ليلة، حتى هرب صباحا،مغتنما فرصة المطر الغزير، وتملصا من الانصار . لكن رفاقنا لم يتركوه يمضي بعيدا ، اذ لحقوا به، وقبضوا عليه، واعادوه الى المقر، ثم سلمناه بدورنا الى مقر لواء قره داغ ، كي يرسله الى قفص الاسرى ، في مكان ما بكردستان .

اغنية الشهيد

في اواخر تشرين اول ١٩٦٥، اضطرت قطعات الجيش وبقايا المرتزقة، نتيجة ضغط قوات البيشمه ركه، الى الانسحاب من قره داغ ، والالتجاء الى معسكر « كله زه رده » عند منتصف طريق السليمانية — تره داغ .

وفي يوم الانسحاب بالذات ، استخدم العدو نيران مدافعه في « كله زه رده»

وكذلك نيران اسلحة الربايا المتخندقة على طريق مسيرته ، ولساعات طويلة ، في عملية تغطية وحماية لتراجعه .

حين ابتدأ القصف المدفعي ، ظننا الامر بداية هجوم واسع، فحركنا قواتنا، بسرعة ، نحو قره داغ، ثم انكشفت لنا عملية انسحابه . ولكننا كنا قد التحمنا، مع بقايا رتله شمال قره داغ، في معارك تبادل اطلاق نيران ، ودخلت معارك المؤخرة دبابتان للعدو كانتا تقومان بواجب الحماية، فساعدتا في افلات قطعاته من مطاردة قطعات البيشمه ركه . كان مقرنا في قرية « استيل العليا » غير مناسب لاسكان انصارنا ، بصورة دائمة ، ولذلك اخترنا مكانا في قرية « هو مرة قلا » نبني فيه قاعدتنا الجديدة ونؤسسها ، وتقرر كذلك بناء اربع غرف كبيرة وثلاث اخرى صغيرة .

في البداية، عارضت العناصر الرجعية في القرية، انتقالنا الى اراضيهم، وكان راس هذه العناصر الكولاك محمد صالح حامد . لكننا اهملنا معارضتهم ، وشرعنا نبني ، واستطعنا انجاز البناء كاملا ، في شهر واحد . فتأمنت في المقر الجديد ، راحة جيدة للانصار .

بعد ايام من وجودنا في قرية « هومره قلا » التحق بسريتنا عدد من حاملي سلاح السلطة المرتزقة ، وكانوا نادمين . كان الشتاء قد اطل، بشهوره المفعمة بالمطر والزمهرير وزوابع الثلج، وكنا قد جمعنا ارزاقا وذخائر كافية . قبل انتهاء عام ١٩٦٥ عادت سرية الانصار الرابعة الشقيقة الى مقرها القديم في منطقة « كرميان » ، وفي يوم رحيل السرية، جرت مراسيم وداع مؤثر، فلقد كنا معا ، شهورا عديدة، متضامنين في المصير، معانين شدائد مشتركة، محققين مآثر مشتركة في عمليات القتال ضد العدو .

حتى نهاية ١٩٦٥، كان الموقف هادئا في عدة جبهات . وقد اعتادت قطعات الجيش، في السنوات السابقة ايضا، البقاء في مواقعها طيلة اشهر الشتاء، مكتفية برميات المدفعية، او غارات الطائرات، لتدمير القرى وقواعد الانصار . وحين تمتلىء السماء بالغيوم، كانت الطائرات تعجز عن التحليق، وكانت تستمر، فقط، رميات تمشيط السفوح والقمم، ضمن مداها ، وفي فترات متقطعة طيلة اربع وعشرين ساعة . في اواخر هذا العام ايضا ، التحق بقوتنا ، احد عشر مسلحا من المرتزقة التائبين، قادمين من دربنديخان، وبعد ان مكثوا معنا اسابيع ثمانية، انتقل تسعة منهم الى سرية البيشمه ركه، في القرية المجاورة ، هذه السرية التي كان يقودها محمد فرج . اثنان فقط فضلا البقاء مع قوتنا .

جاء العام الجديد ١٩٦٦ ، ونحن في قاعدتنا بقرية (هومره قلا) ، كانت ظروف معيشتنا « ماشية » ، وكان البرغل وجبة الطعام الشهية مرتين او ثلاثا في الاسبوع بل كنا احيانا نحصل على اللحم مرة في الشهر. وفي الايام الاخرى كان الخبز والشاي غذاءنا الوحيد .

قبل نهاية فصل الشتاء ، بدات قطعات الجيش تستعد للقيام بعملياتها الهجومية المقبلة. وكنا نراقب العدو بكل يقظة .

في العشرين من شباط اخبرتنا احدى مفارزنا بقدوم قافلة، تضم رتلا من السيارات الناقلة للعدو، على طريق جلولاء — دربنديخان .

وفي اليوم نفسه ، وضعنا عددا من الكمائن بالقرب من مضيق « قطرة » ★ وعندما قدم رتل السيارات المعادي ، انتظر الانصار اقترابه ، لكن ذلك لم يتحقق، اذ توقفت عجلات الرتل الامامية على بعد اربعمائة يارد من التلول ، ثم ترجل جنود المشاة من عجلاتهم ، واخذوا يتقدمون بجناحين مفتوحين الى الجانبين ، وشرعوا يفتشون الطريق بحثا عن الالغام .

تقدم الجنود الى امام ... وحينما اصبحوا على بعد مائة يارد من التل، فتح الانصار النار عليهم، وصرعت الاطلاقات الاولى عددا من جنود العدو، بينما تراجع الاخرون الى الخلف راكضين ، والظاهر ان العدو كان متهيئا للرد على الكمائن المحتملة عند المضيق ، فاخذ يقذف التلول بقنابل الهاون المتوسطة . لكن انصارنا ، بعد ان انهوا مهمتهم، عادوا بدون اي اصابة، وكان لهذه المعركة صدى واسع بين جماهير المنطقة .

بعد شهر، وقعت معركة اخرى، وبصورة مماثلة تقريبا، في مضيق « قطرة » نفسه ، واستمرت ساعات طويلة، اذ بدات في الصباح الباكر، وانتهت في الخامسة مساء. وقدر الرفاق خسائر العدو بعشرين اصابة بين قتيل وجريح ، وغنم الانصار في ساحة المعركة بندقية سمينوف ، وبندقية انجليزية .

بالمقابل استشهد من بين الانصار الرفيق محمد فتاح، لقد دفناه ، باحتفال مهيب في مقبرة امام محمد .

فوق «قطرة» حلق نسر
ومد جناحين عبر نهر سيروان
كـان يراقب الارض
وبغتـة راى الوحش
انقض يهاجم الوحش تلو الوحش
وسما ، ثانية ، الى الاعالي
ان جناحيه تحت الشمس
رايـة حمراء

مع الربيع

مع بداية الربيع، حتى نيسان، كانت معاركنا مع العدو قاسية مريرة .

في العشرين من نيسان ذهبت مفرزة من ستة انصار ، الى طريق باني خه يلان ، وتصادف في ذلك اليوم مرور فوج مشاة مع سريتين للمرتزقة على ذلك الطريق . وقد تصدت لهم مفرزتنا بكل جراة، واستمرت معركة تبادل النيران ساعات عديدة. كما ان المطر الغزير اعاق تحليق الطائرات المعادية فوق ساحة المعركة. صمد الرفاق الستة، وحين اوشك عتادهم ان ينفذ انسحبوا الى الخلف، بعد ان اوقعوا في العدو عددا غير قليل من الاصابات .

★ لم يكن المكان مضيقا بالمعنى المفهوم، وانما كان الشارع الصالح لمرور الاليات محصورا من كلا الجانبين بنهر سيروان وبالتلول ايضا قرب «قطرة» .

في فجر يوم اخر، ذهبت حضيرة من ثمانية انصار، بقيادة الرفيق آمر الفصيل شيخ باقر شيخ حسن، لضرب ربية « كردي علي شيره» على طريق جلولاء — دربنديخان . تبعد الربية مسافة كيلومترين فقط عن دربنديخان . كمن الانصار على مقربة منها ، وعندما بزغت الشمس خرج جندي واشعل نارا امام الربية ليهيء شاي الصباح، ثم خرج جنود اخرون ، وجلسوا ازاء النار . عندها قال الرفيق شيخ باقر « تهياوا يا رفاق ، وانتبهوا حتى اعد ثلاثا : واحد .. اثنين .. ثلاثة !» اطلق الانصار نيران بنادقهم مرة واحدة باتجاه الجنود، وسقط قتلى من هؤلاء، بينما دخل الباقون ربيتهم مسرعين، ثم شرعوا يطلقون النيران من بين فتحات مزاغلها. استمر تبادل اطلاق النار ساعتين، ثم عاد الانصار الى قاعدتنا بسلام .

شاهدنا بعد ساعة من عودة الرفاق ، طائرة هليكوبتر تهبط في دربنديخان ، ثم ترتفع بعد وقت قليل، محلقة، باتجاه بغداد .

بعد ايام اخبرنا رفاقنا في دربنديخان، عن نتائج تلك المعركة :

خسر العدو ثلاثة قتلى (جنديين وعريفا) .

هەوالنامەی کتێب

القسم الثالث

شعلة في الظـــلام

كان علينا الاعتماد على انفسنا . فسرايا البيشمه ركه الاخرى تركت مواقعها ، منسحبة الى ئازه بان ، وغدونا ، وحدنا ، وجها لوجه امام العدو .

وزعنا انصارنا على عدة جبهات متقاربة ، وخصصنا انشط الرفاق للجبهة الامامية التي تقابل العدو .

اما الرفيق ملا احمد باتي خه يلاني ، فقد ذهب الى جبهتنا الخلفية ، للاتصال بعبد الوهاب الاتروشي ، وجلب العتاد الاحتياطي ، وطلب قوات تساعدنا .

بعد ثلاث ساعات من ذهابه ، وردتني منه رسالة كتب في نهايتها : « اذا شاهدتم شعلة نار واحدة فوق قمة جبل احمد برنو كان معنى ذلك أن المنطقة قد اخليت من البيشمه ركه ، فاعتمدوا على انفسكم . واذا شاهدتم شعلتين متجاوزتين كان معنى ذلك ان هناك امدادات في طريقها اليكم » .

هبط الليل . عيوننا معلقة بقمة جبل احمد برنو . الساعات تمر ثقيلة ، مقلقة ... لا نار على القمة .

طلع الفجر . وانتظرنا هبوط الليل التالي .

ومع الليل ، في الساعة الثامنة بالضبط ، شن علينا العدو هجوما واسعا ، لكن انصارنا قاوموه بشدة ، وارغموه على الارتداد الى الخلف .

ما نزال نتطلع الى القمة .. لا شعلة ... حتى ولا بصيص ضوء ★ .

في النهار التالي اخذ العدو يهاجمنا ثانية ، وخضنا ضده معارك دفاعية شديدة . لكن تبادل اطلاق النار مع العدو ، ظل مستمرا .

كنا معرضين الى ابادة محققة . وعلينا النجاة من التطويق المحتمل . في الساعة السابعة من مساء اليوم نفسه ، عقدنا اجتماعا حزبيا طارئا ، وقرر الرفاق بالاجماع ، سحب قوتنا الى « قوبي » ، والانتقال من هناك الى منطقة « كەرميان » حيث يتأمن لنا فيها وضع جيد امين .

وبعد انفضاض الاجتماع مباشرة ، في الساعة الثامنة ، جمعنا قوتنا جنوب طريق « باشارەي » ، وبلغنا الانصار بالقرارات المتخذة ، ثم قسمنا قواتنا ثلاثة

---

* عندما وصل الرفيق احمد باتيخه بلاني الى تلك المنطقة كانت قطعات البيشمة ركه قد انسحبت بعيدا والعدو يحتل بعضها ، لذا لم يتم الاتصال المرجو .

اقسام : المقدمة بقيادتي . الوسط بقيادة الرفيق نجم الدين . المؤخرة بقيادة الرفيق شيخ عطا .

وقبل اجراء مسيرة الانسحاب ، اوصينا الانصار بالتزام الصمت ، والامتناع عن التدخين ، وتجنب الضوضاء في المشي .

هكذا بدات مسيرة الرتل ، سريعة ، صامتة .

وصلنا اولا الى « النترويين » ومنها انحدرنا الى طريق « باوه خوشين » ، ثم واصلنا المسير بعد ذلك على طريق « ديوانه » . بعد مسيرة ست ساعات منحنا انصارنا المتعبين استراحة نصف ساعة ، ثم سرنا ، ثانية ، باتجاه قرية « ئاوه سبي » ، سيرا سريعا كالهرولة ، لكن التعب والجوع والسهر اخذ يهد من توانا ، فبدا الرفاق يتساقطون وهم يهرولون ، فينهضون من جديد ، ويواصلون السير ، وكان بعض انصارنا متعبا حتى عجز عن حمل بندقيته ، فتولى حملها الرفيق القوي .

حين خلفنا « ئاوه سبي » وراءنا ، تفقدنا الرفاق في عملية جرد سريعة ، فوجدنا ستة انصار مفقودين بعد ان تخلفوا على الطريق . ارسلنا مفرزة تبحث عنهم ، فوجدتهم نياما تحت الاشجار .

قبل بزوغ الفجر ، كان رتلنا عند حدود الغابة الكثيفة قرب « ئه سبه ري » . دخلنا الغابة ، متوغلين فيها ، متبعدين عن الطريق بمسافة مناسبة . هنا بلغ منا الاعياء مبلغه ، فلم نكن قادرين على ان نخطو خطوة واحدة . نمنا وسط الغابة .

ثمة خطر واحد يهددنا ، اذا كان باستطاعة العدو ان يباغتنا عبر الطريق المنحدرة من القمة . لذا طلبنا رفاقا متطوعين لحراسة القمة . تقدم خمسة فقط .

حين استيقظنا من ساعات سباتنا العميق استعدنا بعض قوانا . لكننا في الصيف ، وفي تموز منه . لم يكن لدينا حتى لتر ماء واحد .

لكننا تهيأنا للمسير ثانية ، وبدأنا نرتقي القمة . بعد وقت قصير من بدء مسيرتنا اخبرنا الرفاق بمرور احد الارتال على الطريق . كان عدد مسلحي الرتل يقارب السرية ، وهم متجهون نحو « باني خه يلاني » .

كنا منهكين تعبا وظمأ وجوعا ، لذا اوعزنا الى الجميع ان يختبئوا وراء الصخور ، ويدعوا المسلحين يمرون ، اذ لم يكن انصارنا يستطيعون خوض اية معركة لصالحنا .

مر رتل المسلحين بأكمله ، واختفت اخر اشباحه عن الانظار ، فاستانفنا السير حتى بلغنا الجهة المقابلة لـ « قوبي » .

العطش الملحاح يحرقنا . اننا نبحث عن الماء في كل زاوية . اخيرا عثر انصارنا على اربع حفر ذات ماء راكد قذر . كان لا بد من الشرب . انتشر الانصار بين الصخور محتمين بظلالها من شمس تموز اللاهبة .

في الساعة الثانية بعد الظهر ارسلنا احد فصائلنا الى قمة الجبل المجاور لتأمين حمايتنا حتى المساء . عشرة انصار فقط انجزوا عملية الصعود الى القمة ، وعجز الباقون بسبب التعب والجوع والظمأ .

وفي الوقت نفسه ارسلنا رفيقا من اهل المنطقة الى قرية تبعد حوالي ثلاثة كيلو مترات ، بغية جمع المعلومات ، وجلب كمية خبز وماء .

بعد مرور ساعة ، عاد الرفيق ، وبصحبته احد الفلاحين ، محملا بالخبز والماء . رحب الفلاح بنا ، وشد على ايدينا ، واخبرنا :

« استرجعت قوات البيشمه ركه منطقة (سه ركو ، وتافان ، واسقيل) من الاعداء . هرب المرتزقة .. هربوا ... البارحة » .

ومن الرفيق جاءتنا اخبار سارة اخرى : لقد كان انصار السرية الرابعة في قرية « به له كجار » ، وذهبوا صباحا باتجاه باني خه يلان .

فجأة ارتفعت صيحات الفرح . وسمع انصارنا في القمة هذه الصيحات ، فاندفعوا في هدير فرح غامر .

حقا ، كانت المعلومات الجديدة في غاية الاهمية ، لقد بدا الموقف ينقلب لصالح الثورة . اما ذلك الرتل الذي قطع الطريق المحاذي للغابة ، والذي ظنناه قوة معادية ، فلم يكن سوى سرية الانصار الرابعة الشقيقة !

وقد علمنا فيما بعد ، ان رفاقنا في هذه السرية خاضوا معارك بطولية في منطقة « كەرميان » ثم تركوا منطقتهم طلبا للعتاد .

جمعنا قوتنا ، وذهبنا الى قرية « قوبي » للراحة ، وبتنا ليلتنا هناك . وفي صباح اليوم التالي انتقلنا الى قرية « به له كجار » .

سقط منا اثنا عشر نصيرا ، مرضى ، بسبب تراكمات الارهاق والجوع وشرب الماء الفاسد . في تلك القرية امنا لهم العناية والراحة ، فتماثلوا للشفاء ، واستعادوا صحتهم بعد ايام .

انتقلنا بعد ذلك الى قرية « سه روجاوه » ، واسسنا هناك مقرا ، واصبح وضعنا جيدا .

بدء الهجوم المقابل ضد العدو

في اواسط الشهر الثامن ١٩٦٦ ، قامت السرية الرابعة الشقيقة ، مع سريتي بيشمه ركه يقودهما عزيز شريف ★ وكامل ويسي ، باجراء مسيرة الى « باوەخوشين ــ ديوانه » ، فتعرضت لهم قوى كبيرة من المتمردين والمرتزقة ، فانسحبت السريتان كلتاهما الى الخلف ، وظلت السرية الرابعة مستمرة في القتال ، بمفردها ، حتى امنت انسحابها باتجاه قريتنا . وصلت السرية وهي تحمل جثة الرفيق الشهيد شه كر زنكنه . دفنا الشهيد في مقبرة سه رو جاوه .

في اليوم نفسه وردتنا رسالة من العريف حميد ، آمر الفوج الخامس لواء قره داغ ، يطلب فيها ان تساهم قوتنا بثلاثين نصيرا ، حتى يتمكن من شن هجوم على سلسلة جبال « باوه خوشين » ؛ كما طلب منا ان نحمل معنا صندوقي عتاد « الفي اطلاقة » لسد حاجة سريتي عزيز شريف وكامل ويسي .

كانت خطة العريف حميد ، مهاجمة العدو المتخندق فوق جبال « باوه خوشين » من كلا السفحين ، الامامي والخلفي ، والصعود الى القمم بواسطة القتال القريب

★ هو غير الاستاذ عزيز شريف الشخصية السياسية المعروفة .

والاشتباك مع العدو داخل مواضعه .

في الحادية عشرة ظهرا ، قدت احد فصائلنا ، وتحركنا نحو الجبال ، تسلقنا السفوح ، صاعدين ، ساعتين ونصفا ، ثم اشتبكنا مع العدو في قتال عنيف ، وشرعنا نطهر المواقع ، الواحد تلو الاخر .

لاذ المرتزقة بالفرار تاركين العديد من القتلى في مواقعهم فوق القمم . واحتلت قوات الانصار قمم السلسلة الجبلية باكملها . وفي اليوم التالي هبطنا ، وعدنا الى مقرنا في سه رو جاوه ، حيث بقينا شهرين .

يوم ٢٠ــ١٠ انتقلنا الى قرية « به له كجار » ، ثم الى « سركو » ، وهنا اتخذنا من مسجدها مقرا وماوى . كانت معيشتنا قاسية مريرة بسبب قلة الارزاق وضيق ذات اليد .

في اواخر الشهر العاشر طلب الملازم طاهر علي والي ، آمر قوة قــره داغ انذاك ، ان نتجحفل مع قوته البالغة مائة مسلح من البيشمه ركه ، للقيام بجولة في منطقة شاره زور . كانت المنطقة تعج بالمرتزقة وغيرهم . حاولنا ثنيه عن تلــك الجولة باعتبارها مغامرة غير مجدية ، لكنه اصر على ان يذهب معه خمسة وعشرون مسلحا من انصارنا ، واشترط الا اصحب الانصار ، بحجة وجود مشكلات بينــي وبين شيوخ سوله الاقطاعيين . رافقت الانصار حتى قرية « سبو سنيان » حيث خصص مسجدها ماوى لافراد القوة طيلة تلك الليلة . وبينما كان الانصار يتهيــأون للنوم ، ارسل آمر القوة يطلبني . اسرعت الى غرفته ، وحين دخلتها رايته يسير ، ذاهبا آيبا ، والقلق باد على محياه . قال لي : اخبرتنا مفارزنا باقتراب جموع مــن المرتزقة وغيرهم . لذا قررت سحب قوتنا من سبو سنيان الى قرية « به له كجار » . ارجو ان تستعد قوتكم للحركة .

قلت له : ما الذي سيقوله اهالي هذه القرية لو تركنا قريتهم ، فرارا ؟ الــن يتهمونا بالجبن ؟

قال : هذا صحيح .

عندها قلت له : لنوزع قواتنا حول القرية ، ونحاول الدفاع عنها من جميــع الجهات ، ونستطيع غدا ان نفعل ما نريد . وافق على الاقتراح ، فوزعنا الجبهات على الفصائل ، ثم عدت الى مقرنا في المسجد ، وهيأت الانصار ، وقدتهم الى موقعنا في احد جوانب القرية . كان الطقس باردا جدا . وبقينا في العراء حتــى الصباح ، ولم يظهر للعدو اي نشاط . قبل ظهر ذلك اليوم ، غادرت القوة « سبو سنيان » ، وسارت باتجاه قرية « نه مه ل » ، وعدت بمفردي الى مقر سريتنا في « سركو » .

علمنا بعد ذلك ان انصارنا الخمسة والعشرين الذين رافقوا القوة في جولتهــا قاموا ببطولات رائعة في معركة « نه مه ل » ، اذ انتظرت قوة الملازم طاهر حلــول الظلام ، ثم شنت هجوما ليليا على القرية ، ودخلتها عنوة ، واسرت ثلاثة مرتزقة ، ثم انسحبت الى قرية « سوله » .

لقد فقد العدو في تلك المعركة عددا من القتلى ، وبالمقابل استشهد مــن افــراد القوة انور محمود سان احمد مع عدد اخر من البيشمه ركه .

في اواخر الشهر العاشر كنا في مواقعنا ، فوق قمم جبال تافان . لعلعــت

الاطلاقات النارية قرب « سوله » ، فاخبرنا اللواء بالحادث ، وطلبنا ارسال قوة الى المنطقة ، واسرعنا نحن ، ومعنا ستة صناديق عتاد ، وذهبنا مع مفرزة المعاون مصطفى الى قرية « سيو سينان » ، وهناك علمنا بان قوة الملام طاهر كانت قد اشتبكت مع العدو ، خلال انتقالها من سوله الى علياوه .

كانت هذه نهاية معارك شاره زور .

مفاجـــاة

في اواسط كانون الاول ، ذهب فصيل من انصارنا ، بامرة خالد رباطي ، آمر السرية الاولى ، ف٤ . ك.ق . باتجاه « وليان » . كانت قيادة الثورة ترسل بصورة دورية ، كل شهرين ، ثلاث سرايا بيشمه ركه من قوتي سفين وسهل اربيل ، لمساعدة قوة قره داغ ، والتعاون معها في عمليات مقاومة العدو . وكان عمل خالد رباطي في منطقة قره داغ جزءا من تلك الواجبات الدورية .

كان في قرية « وليان » حوالي ثلثمائة مسلح من المرتزقة وغيرهم . رتل خالد رباطي يتقدم نحو القرية . رفاقنا في المقدمة . دخل الرتل القرية ليلا . ولم يكن يدور في خلدهم وجود ذلك العدد الكبير من قوات العدو فيها . اعترضتهم احدى نقاط حراسة العدو ، وكان فيها حارسان . صرخ احدهما في وجه رفاقنا « من انتم ؟ » اجابه احد الرفاق : « نحن » . ظن الحارسان ان هذه القوة المتقدمة نحوهم لا بد ان تكون من قطعاتهم الجوالة . وبالمقابل اعتقد انصارنا ان القوة الموجودة في القرية ، هي قوة « سفين » الجوالة .

حينما اقترب الانصار من الحارسين ، كشف هذان عن هويتهما ، عندئذ عرف الانصار الحقيقة ، فهجموا عليهما بسرعة ، وجردوهما من السلاح . لكن المرتزقة الاخرين انتبهوا الى الحادث ، واخذوا يطلقون نيرانهم باتجاه الانصار . اسرع الرفاق بالانسحاب الى الخلف ، وتوقفوا في طرق القرية ، وقفز رامي رشاشة الدكتاريوف ، وتسلق سطح البيت الطيني ، وفي لحظات هيأ رشاشته ، وحين بدأت جموع المرتزقة تتقدم للقضاء على الانصار ، بدأ « الرفيق دكتاريوف » يرمي ، واستمر يرمي بلا توقف ، وكلما انتهى شريط عتاد ركب شريطا اخر ، وعاود الرمى .

كان الانصار ، بدورهم ، متخندقين خلف الجدران الطينية ، يتبادلون اطلاق النيران مع المرتزقة .

لقد قضت رشقات « الرفيق دكتاريوف » ، على العشرات من المرتزقة ، وقتلتهم في الحال . !

منذ بداية القتال ، انتبه خالد رباطي ، الى الكمين المنصوب في قرية « وليان » ، فأوقف تقدم قطعاته ، وبدأ يسحبها الى الخلف ، ثم تراجع انصارنا ايضا بعد ذلك ، ثم انسحبت القوة باكملها ، ونجت من كارثة محققة .

تكرم آمر القوة ، واهدى البندقيتين المسلوبتين من الحارسين ، الى الرفيق دكتاريوف ، تقديرا لبسالته .

معركة بانيخيلان

في اليوم الاول من عام ١٩٦٧ ، نقلنا مقرنا الى قرية « به له كجار » ، واتخذنا من مدرستها المهجورة مأوى لانصارنا طيلة ما تبقى من الشتاء .

كانت الايام كالحة ، في « به له كجار » ، كنا نعاني سوءا في الغذاء ، ونقصا في الكساء ، وشمل هذا ، وبشكل قاس ، رفاقنا اصحاب العوائل الذين يعيشون قرب قواعدنا . خلال الشهر الاول من العام ارسل لنا الحزب بندقيتين وغدارة ، كنا مشغولين بتدريب الانصار وتثقيفهم ، لكن الوضع ظل هادئا في منطقتنا .

حل شهر حزيران فبدأنا جولة واسعة بين القرى ، وعندما كنا في الطريق الى « زه رده ليكاو » وصلتنا رسالة مستعجلة من القوة تخبرنا بقيام قوات البيشمه ركه بالزحف على « كلار » ، قرب كركوك ، وتطلب منا التوجه بسرعة الى منطقة « بانيخيلان » وحماية طريق التقدم لقطعات الثورة .

عدنا الى « بانيخيلان » واسسنا في تلك القرية مقرا صغيرا . بعد عشرين يوما على وجودنا في القرية غادرت قوات البيشمه ركه ضواحي « كلار » وانسحبت الى الخلف ، دون ان تعلمنا بذلك .

وفي ليلة ١٢ــ٧ــ١٩٦٧ كنا نتناول العشاء ، كالمعتاد ، في بيوت الفلاحين من رفاقنا ومؤيدينا . كنا جالسين في العراء ، بينما القمر يتراجع بطيئا ، ليختفي وراء سلاسل الجبال . الظلمة تعمرنا . والفانوس ينير سفرتنا . كنا نتناول طاممنا حين اقبل احد الانصار مهرولا ، صارخا : « اين آمر السرية ؟ » صحت به : تعال هنا يا رفيق .

دنا مني ، وقال وهو يلهث : « ايها الرفيق ، وصل رتل سيارات معادية الى « قطرة » ، وتوقف هناك . ثم اطفأت السيارات مصابيحها الامامية » . عملية هجوم مقبلة .

جمعت قوتنا البالغة تسعة عشر نصيرا (تسع عشرة بندقية ورشاشة برين واحدة) . ارسلت ستة انصار بقيادة آمر الفصيل محمد شريف الى جسر « ده ره دوين » ، واربعة انصار بقيادة آمر الفصيل كريم الى المقدمة ، ووزعت الانصار السبعة الباقين على حاجز جبلي قرب قريتنا ، اما المقر فقد بقي فيه رفيقان احدهما بدون سلاح . بعد مضي ساعة بدا اطلاق النار من جهة جسر « ده ره دوين » وكان الرفاق الستة قد كمنوا على مقربة منه ، وحين شرع العدو يتقدم نحوهم ، بادر انصارنا الى الرمي ، فلجأت قطعات العدو (قدرت بثلثمائة مسلح من المرتزقة) الى الانتشار ، محاولة تطويق الرفاق الستة .

احس الانصار بتلك العملية ، فانسحب ثلاثة رفاق الى حاجز جبلي خلفي ، بينما استمر الثلاثة الباقون (محمد شريف وحسن احمد وغريب فرج) في المقاومة ، وكانت مع الرفيق حسن رشاشة برين ، وعدد كاف من مخازن العتاد (سبعة ثلاثين اطلاقة) ، وكان لدى كل من محمد شريف وغريب فرج بندقيةبرنو ومائة وخمسون اطلاقة .

بدا العدو يضيق الخناق ، فاضطر الانصار الثلاثة الى الانتقال تحت الجسر ، واستمروا يقاتلون هناك ، لمدة ربع ساعة . ثم قرر محمد شريف ، تفاديا للتطويق ،

انسحاب الانصار الى التل الخلفي . تسلقوا التل عجلين ، وبعد ان تخندقوا فوقه شرعوا بالرمي السريع على المرتزقة الذين كانوا يحاولون الصعود اليهم . تلك اللحظات الحرجة توقفت الرشاشة من العمل . لقد اصابها عطل . كان النصيران يقاتلان وحدهما ، بينما كان النصير حسن يحاول اصلاح الرشاشة . استبطأه الرفيق محمد شريف ، فأعطاه بندقيته ، وتسلم هو الرشاشة محاولا اصلاحها . سحب مقبض الترباس الى الخلف عدة مرات ، وبدل المخزن ، لكن الرشاشة بقيت جامدة هامدة .

صرخ الرفيق غريب فرج : تعطلت بندقيتي !

ظل النصير حسن ، يقاوم ، وحده . بينما بدا المرتزقة ، كالذئاب الشرهة ، يتسلقون التل .

يقول غريب فرج :

بعد ان توقفت رشاشة البرين ، وتعطلتبندقيتي ، وشرع المرتزقة يتسلقون التل ، قلت للرفيق محمد شريف ... لننسحب بسرعة . قال الرفيق حسن : سانتقل الى مكان اخر ولجلب انتباه المرتزقة نحوي حتى تنتهيا لكما النجاة . قال هذا ، واخذ يبتعد الى الجانب ، وهو يطلق النار . لكنه سقط جريحا على مبعدة مائة يارد منا . ثم اطبق عليه المرتزقة واسروه . في تلك اللحظة كنتوالرفيق محمد شريف نهبط الجانب الاخر من التل . انا في المقدمة ، وهو خلفي . عند منتصف السفح تقريبا سقط محمد شريف جريحا . عدت مسرعا وحملته على كتفي ، لكني لم استطع حمل رشاشته . هبطت به سفح التل ، وبلغت الارض السوية ، وركضت به مائة يارد ، ثم توقفت ، وسقطت منهكا . المرتزقة يتعقبوننا . قال لي محمد شريف : انج بنفسك يا رفيق واتركني وحدي . مضيت قليلا ، لكني عدت اليه : سابقى معك يا رفيق ، وليكن مصيرنا واحدا . فكرت . قررت اخفاءه في حقل الرز القريب . ربما انقذته ظلمة الليل من الموت . حملته ، ثانية ، ودخلت حقل الرز ، ومددته في وسطه ، ولففت بيشماغي جرح ساقه ، ثم زحفت الى طرف الحقل البعيد ، وانسحبت عائدا الى المقر » . تلك الليلة استمرت المعركة بضع ساعات ، ثم تراجع العدو منسحبا .

مع الفجر بدانا نبحث عن الرفاق المفقودين ، واسرعنا الى حقل الرز ، ووجدنا آمر الفصيل الرفيق محمد شريف حيا هناك . كان مصابا باطلاقتين خلف الركبة . زرقناه بحقنة ضد النزيف ، واخرى ضد الكزاز ، ثم ارسلناه الى الضفة الاخرى للمعالجة في المستشفى . بقي رفيقان منا مفقودين هما حسن احمد وقادر احمد ، وكلاهما جرح ، واسره العدو ، وفقدنا ايضا رشاشة برين وبندقيتي برنو . لقد انتهت المعركة .

بقينا في بانيخيلان ثلاث ليال اخرى ، ثم عدنا الى مقرنا في قرية « به له كجار ».

بعد عام كامل من معركة الجسر ، عاد الينا الرفيق قادر احمد ، اذ اطلقت السلطات سراحه في مناسبة الهدنة الثالثة . قال الرفيق قادر احمد :

بعد ان جرحت ، اسرني المرتزقة ، ثم نقلت مع الرفيق حسن احمد ، وكانت ساقه مكسورة ، الى « كلار » ، وفي اليوم التالي سلمنا المرتزقة الى السلطات في

بعقوبة . بقينا في معتقل المدينة مدة ، ثم اخذوا الرفيق حسن من الغرفة ولم يعيدوه .. دخلت انا المستشفى وعولجت ، واطلقوا سراحي خلال هذه الهدنة » .

لم يعد الينا الرفيق حسن .

فقد تبين لنا ان السلطات قتلته غدرا ، ودفنته سرا . انه الشهيد الثالث في سريتنا . كان شابا في الرابعة والعشرين . شيوعيا جيدا ، ورامي رشاش ممتازا .

هەوالنامەی کتێب

القسم الرابع

الصمود ، اليقظة

في اواخر تموز ١٩٦٨ زحفت نحو قره داغ قوى كبيرة من المرتزقة وقطعات الجيش وغيرهم . بداوا بالتقدم من دربنديخان ، ثم شنوا هجمات واسعة على سلاسل جبال صوله ، وبعد ان احتلوها تقدموا الى « تله زيت » التي تبعد عن مقرنا مسافة كيلو مترين فقط . الا انهم لم يتقدموا ابعد من « تله زيت » .

كانت قوات اللواء قد انسحبت الى الخلف وتركتنا وحيدين في المنطقة . قررنا في اجتماع عام للانصار ، الاحتفاظ بمواقعنا ، والصمود باي ثمن . وحين علم قادة الخصوم بقرارنا ، وبسبب عجزهم عن الحفاظ على المواقع المحتلة طويلا ، سحبوا قطعاتهم باتجاه سهل شاره زور . حينذاك عادت قوات البيشمه ركه الى مواقعها السابقة .

في بداية اذار ١٩٦٩ تجحفلت قوتنا مع سريتي خالد رباطي ومحمود عزيز ، وكانت هذه القطعات بمثابة قوة سيارة ضاربة في منطقة شاره زور . قرر قادة القوة مهاجمة مخفر « عربد » واحتلاله . وقد ساهم في العملية عشرون نصيرا من سريتنا . بدا ت المعركة ليلا . كانت في المخفر قوة معادية من الشرطة يبلغ تعدادها فصيلا ، مزودة بالرشاشات والهاونات المتوسطة . كانت بناية المخفر اشبه بقلعة مربعة الاسوار . لم نتمكن من احتلال المخفر ، الا ان العدو تكبد بعض الخسائر في الارواح .

بعد عشرين يوما ، ساهمت قوتنا المتجحفلة مع سريتي محمود عزيز ومام كريم ، في ضرب القطعات العسكرية في دربنديخان ، وكانت تقدر بفوج مشاة . وقام رفاقنا بضرب المعسكر قرب قرية « كاني سارد » ونجح الهجوم ، اذ تكبد العدو خسائر كبيرة في المعدات والاوراح .

في اوائل شهر مايس ، جاءتنا معلومات قيمة من الحزب ، تتضمن « ان قطعات كبيرة من الجيش والمرتزقة تحركت باتجاه شاره زور ، فيجب التحلي باليقظة والحذر » . اوصلنا هذه المعلومات الى مقر اللواء ، وطلبنا اتخاذ الاحتياطات اللازمة ، وعلى راسها احتلال جبل جناره . لكن اللواء اعتبر تلك المعلومات مبالغا فيها ، ولم يتخذ اي تدابير دفاعية .

مر يومان فقط ، وفي اليوم الثالث احتلت القطعات المعادية ، وبصورة مفاجئة قرية « ميرودهي » ، وعندها ادخل اللواء قطعاته في الانذار . اما نحن فقد ذهبنا

الى سولياوا ، حيث بقينا فترة قصيرة ، لننتقل الى قرية « نقيرة » ، ثم اخذنا مواضع لنا خلف « كوره » وكاني بكر ومجه كوير .

في اواخر شهر مايس ، ذهبت والرفيق نصر الدين ، مع عدد من الانصار ، حسب أوامر اللواء ، بصحبة سرية حمه شميراني ، لتامين عبورها الى الجانب الاخر من النهر ، حيث كان عليها ان تضرب المرتزقة في الضفة الاخرى .

في ٢٧ــ٥ جرت محاولة السرية عبور النهر ، امام قرية باني خه يلان ، لكن تلك المحاولة احبطت بسبب الحراسة المشددة التي فرضها المرتزقة على الضفة الاخرى .

بعد ذلك اضطررنا للانتقال عبر طريق « به رده كه نا عازه بان » الى حافة البحيرة ، وهناك انجزت السرية عبورها ، وعدنا نحن ، على الطريق العام ، الى قرية « جناره » ، حيث استرحنا قليلا ، ثم وصلنا في الليلة نفسها الى مقرنا في « مجه كوير » ، وكنا متعبين حتى العياء . في اليوم التالي لوصولنا ، اشترينا نعجتين (كنا ناكل اللحم مرة في الشهر) ، وتحت اشجار مقبرة مجه كوير طبخ الانصار مرق اللحم .

بعد الانتهاء من الطعام ، مباشرة ، ذهب احد فصائلنا لضرب معسكر العدو في دربنديخان ، وحين بدا الانصار يطلقون نيرانهم ، رد عليهم العدو باطلاق اربع قنابل من مدافعه ، سقطت قنبلتان منها في اطراف قرية كولان هوستاكان .

في اوائل تموز ، قامت مدفعية العدو ، في معسكر « ميره دي » بقصف قرية « كاني بكر » ، وسلسلة الجبال الواقعة خلف قرية « مجه كوير » . وبعد انتهاء القصف حلقت مقاتلتان نفاثتان فوق المنطقة ، وبدأتا تمشطان السفوح والقرى بنيران الرشاشات الثقيلة ، ثم افرغتا صواريخهما ايضا . وقد استشهد ، نتيجة القصف ، احد البيشمه ركه من سرية حسن علي قادر .

في منتصف تموز ، ذهبت سريتنا مع سرية حمه شيراني ، باتجاه قريتي «نه‌مل» و « دز كه ره » ، وبعد ان علمنا بوجود قطعات مرتزقة فيها ، عدنا في الليلة نفسها ، الى كوري دوومالـه .

في نهاية تموز ، صدرت الينا الاوامر بالذهاب الى «كاني بكر » والبقاء فيها ، لحمايتها من هجمات العدو . وحين كنا هناك اشترك احد فصائلنا مع سرية خالد رباطي في عملية غزو لماشية المرتزقة بقرية « سياره » ، وقد تم الاستيلاء على المئات من رؤوس الماعز والماشية الاخرى ، وعاد الفصيل الى مقرنا .

في منتصف شهر اب ، وردتنا رسالة من المعاون شيخ محمد ، وكان يشغل انذاك منصب آمر لواء قره داغ ، يطلب فيها حضور الى مقره . ذهبت الى هناك ، لاحضر مؤتمرا لآمري السرايا عقده آمر اللواء .

وبعد حديث طويل ، قلت له : « ان كنتم تتوقعون هجوما قريبا للعدو ، فمن الافضل نقل مدافع اللواء الى الضفة الاخرى .

هز آمر اللواء راسه مصدقا وقال : لهذا الغرض جمعت آمري السرايا ، ان رايك صائب بالنسبة للمدافع ، ولذا احملكم هذا الواجب ، ثقة بانصار سريتكم .

رجعت الى السرية ، وفي ليلة ١٩ــ٨ــ١٩٦٩ تهيا انصارنا لمرافقة مدافع

اللواء ونقلها الى الضفة الاخرى ، وكان من المقرر ان ينجز هذه العملية فصيل كامل بقيادة الرفيق توفيق معاون آمر الفصيل ، لكن تخلف بعض الانصار عن الوصول الى نقطة التحميل في الموعد المقرر ، جعلنا نغير قرارنا السابق ، فارسلنا الرفيق نصر الدين مع عشرين نصيرا للقيام بذلك الواجب ، ورافق هؤلاء الرفاق ، المدافع حتى صوارتا ، لكنهم في الواقع رافقوها حتى بنجوين .

ذرى سولياوا

يوم ٢٥ــ٨ــ١٩٦٩ ، تسلقنا ليلا ، سفح جبل سولياوا ، ثم اخذنا مواقعنا فوق القمم الرئيسة فيه . وبعد يوم واحد صعدت ايضا سرية الانصار الرابعة الشقيقة ، واتخذت مواقعها قربنا . في تلك الاثناء وصلتنا رسائل عديدة من الرفاق والاصدقاء ، تتضمن معلومات عن قيام قطعات الجيش بالتقدم نحو قره داغ . كانت سريتنا تضم فصيلين فقط ، فقبل ستة ايام ارسلنا عشرين نصيرا ، يقودهم الرفيق نصر الدين ، برفقة مدافع اللواء الى صوارتا ، وكان غيابهم عنا سيستغرق ليلة واحدة حسب ، لكن تقرر بعد ذلك ايصال المدافع الى بنجوين ، مما اخر عودتهم الينا ، وسبب تقليص حجم سريتنا من ثلاثة فصائل الى فصيلين ، فاضطررنا الى سحب جميع الرفاق من المقر ، وصعد الينا هؤلاء ، في ليلة ٢٦ــ٨ــ١٩٦٩ ، وجلبوا معهم ايضا جميع عتادنا الاحتياطي .

في هذه الليلة نفسها ، بدأ اطلاق النار في جبهة سوله الى اليسار من جبهتنا ، ثم سرت حرارة المعركة ، وانتقلت الى جبهتنا عند « كلا وكوركه » ، وبدأ العدو يتسلق الجبل من السفح الاخر . كان انصار سريتنا يحتلون موقعين في جبهة المقدمة ، بينما يحتل انصار السرية الرابعة الشقيقة اماكنهم عند الجبهة الخلفية . اصوات العيارات النارية تقترب ، تدريجا ، من مواقعنا الامامية . اننا متاهبون للقاء العدو . موجود سريتنا ثمانية وعشرين نصيرا ، اربعة منهم بلا سلاح . لدينا ايضا ثلاث بنادق غير صالحة للقتال . ستة انصار فقط في سريتنا لديهم خبرة قتالية .

استمر تبادل اطلاق النيران حتى الصباح . لكن في الساعة التاسعة صباحا ، بدأ العدو يهاجمنا بشدة ، غير انه فشل في احتلال مواقعنا ، وبقي الانصار صامدين .

الى يسارنا ثلاث سرايا بيشمه ركه ، بينها سرية عبد الله كلوشي الذي سلم سريته للعدو ، كما توقعت ، دون اي مقاومة . اما السريتان الاخريان فقد انسحبتا الى الخلف ليلة ٢٧ــ٨ــ١٩٦٩ . المعركة مستمرة .

كان حجم العدو يقدر بثلاثة امواج مشاة مع اعداد غير قليلة من المرتزقة وغيرهم . طلبت النجدة من سريتنا الشقيقة الرابعة . ارسلت الينا نصيرا واحدا هو الرفيق جهاد . سقط الرفيق جريحا في ساقه في الساعة الواحدة والنصف صباحا . سحبناه الى الخلف ثم اركبناه جوادا ، وارسلناه الى قرية استيل السفلى . كررت طلب النجدة من السرية الرابعة . اعتذر آمرها لعدم وجود احتياطي لديه .

كنا بانتظار فصيل الرفيق نصر الدين . في الثانية الا ربعا ارسل لي الرفيق اسماعيل نصر الله مسؤول الجبهة الاولى الرسالة الاتية :

الرفيق آمر السرية

تحية رفاقية حارة

يبلغ تعداد العدو امامنا ثلثمائة مسلح ، وهم يهاجموننا باستمرار وبكثافة نارية . عتادنا قليل جدا . معنويات رفاقنا عالية جدا .

الرفيق / اسماعيل نصرالله

قائد الجبهة الاولى

قررت الذهاب ، مع نصير واحد ، الى جبهة المقدمة ، وكان علي ان اترك مقري مرغما ، ففي تلك الجبهة نصيران فقط هما الرفيقان نامق وحميد . اطلاق النار مستمر . قال الرفيق حميد : لو كان العدو يعلم عددنا لجن جنونه . قلت : حتى لو علم ، فان موقعكم حصين الى درجة انكم قادرون على صده .

كان الموقع مسلطا على السفح ، باتجاه النيسم الصالح للصعود ، وكان افراد العدو يحاولون ، احيانا ، تسلق المرتقى ، لكن ما ان تطلق عليهم النار حتى يرتدوا على اعقابهم مستترين خلف الصخور ، ثم يفتحون نيرانهم على موقعنا . هكذا كان يدور القتال منذ وقت غير قليل .

امض العطش رفاقنا . كان على انصار المؤخرة توزيع « الزمزميات » لكنهم تاخروا في نقل الماء . اقترحت على الرفيق حميد ان ياتي بالماء . ذهب حميد الى الخلف . ومرت ربع ساعة تقريبا ، وفجاة دخل علينا احد ابناء رفاقنا ، وهو فتى في الثانية عشرة ، يحمل بيد بندقية حميد ، وبالاخرى زمزمية الماء .

قال لنا : جرح حميد وسقط . سالته : اين سقط ؟ اجاب : « كنت انقل اليكم الماء ، ووجدته جالسا امام صخرة ، مجروح اليد ، واخذت بندقيته ، فقال لي : ماذا تفعل ؟ اجبته : ادافع عنك بنفسي . فقال لي : لا خطر علي هنا ، اسرع ، واخبر الرفاق بالحادث . واعطيته قسما من الماء ، ثم اتيت اليكم . »

عندما انهى الصغير كلامه ، امتد داخل الموضع ، ممسكا بالبندقية ، وقال : اروني هؤلاء الاعداء !

لكني سحبته الى مكان اخر ، وقلت له : اجلس في هذا الموضع ، ولا ترفع راسك ابدا .

ثم اسرعت مع نصير اخر الى مكان الجريح ، في منتصف المسافة بيننا وبين المقر الخلفي . كان الرفيق مصابا باطلاقة في يده ، وثمة احتمال كبير بانها ضربة قناص ، كان جرحه ينزف ، فنقلناه الى الخلف حيث اجريت له الاسعافات الاولية ، ثم ارسلناه الى قرية استيل السفلى . وعدت بعد ذلك ، مسرعا ، الى موضعنا في جبهة المقدمة .

في الساعة الرابعة عصرا ، ارسل آمر السرية الرابعة الشقيقة ، نصيرا واحدا مع رشاشته الى جبهة اسماعيل نصرالله ، ورفيقا اخر الى جبهتنا ، ثم بدا بعد ذلك بتصفية مواقع العدو بمدفع هاون صغير (٢ عقدة) .

لكن حدث تطور مفاجيء ضدنا ، في الساعة الرابعة والنصف اذ بدات

اطلاقات نيران كثيفة تتجه نحونا من سلسلة الجبهة الاولى ، ومن جبهة اسماعيل نصرالله بالضبط . ما الذي حدث لجبهة اسماعيل ؟ هل اطبق عليهم العدو وابادهم؟ بقينا نقاوم عشر دقائق ، ثم اضطررنا الى الانسحاب الى الخلف . وعندما وصلنا الى موقع الاسناد رايت اسماعيل نصرالله وانصاره هناك ايضا ، وحينما رآني قال : انجزنا انسحابنا بدون خسارة .

سالته بغضب : من امركم بالانسحاب ؟

دهش اسماعيل واجاب : لقد امرتم انتم بذلك .

وسالته ثانية : من بلغكم بهذا الامر ؟

قال : النصير محمود .

استدعيت محمودا .

— كيف كذبت على الرفيق اسماعيل ؟ اي كارثة اردتها لنا ؟

قال محمود وهو يكاد يبكي : عندما رايت رفاق الجبهة الثانية ينسحبون ذهبت الى الرفيق اسماعيل واخبرته ان ينسحب بامر منك .

لقد ارتكب النصير محمود خطأ كبيرا يكاد يماثل الجرم . انتقدناه بشدة ، رغم ضيق الوقت ، وكذلك الرفيق اسماعيل لانه انسحب من موقعه دون ان يصدر اليه امر خطي بذلك .

وضعنا مجموعة اسماعيل في موقع اخر ، واستمر القتال . صمدنا حتى الثامنة ليلا ، وعندما اوشك عتادنا على النفاد ، قررنا اجراء انسحابنا الى اسفل السفح ، وطلبنا من السرية الرابعة تأمين حماية تراجعنا ، ثم بدانا نهبط . وعندما اكملنا انسحابنا تبعتنا السرية الرابعة عن كثب ، ثم سار رتلنا سوية ، باتجاه قرية « ميرياس » ، ثم وصلنا قرية « استيل العليا » .

علمنا هناك ان العدو تمكن من احتلال قره داغ بعد ظهر ذلك اليوم ، وكانت مدفعية الجيش مستمرة في قصف قوبي ومقر القوة ، وظل القصف متقطعا يومين وليلة ، وساهمت طائرات العدو فقصفت قصفا وحشيا عدة مواقع وقرى .

قضينا ليلتنا في « استيل العليا » ومع الفجر التالي انتقلنا الى خلف القرية بمسافة مناسبة ، لغرض صيانة انصارنا من هجمات الطائرات المعادية .

رسالتان من خط النار

الرسالة الاولى

حرية كردستان او الموت

العدد/ف

التاريخ ٢٨—٨—١٩٦٩

الى آمر لواء قره داغ المحترم

تحية حارة

١ — في ليلة ٢٦—٨—١٩٦٩ ، وبالساعة الحادية عشرة والنصف شن العدو

هجوما على جبهتنا في سولياوا ، وتصدت له قواتنا في معركة استمرت حتى صباح اليوم التالي ، وبقيت مستمرة بعد ذلك ايضا حتى الساعة الثامنة ليلا من يوم ٢٧—٨ ١٩٦٩ . لقد كبدنا العدو خسائر كبيرة في افراده ما بين قتيل وجريح . وفي صباح وظهيرة يوم ٢٧—٨ بعثنا برسالتين ، الاولى الى عريف جلال ، والاخرى الى محمود عزيز ، ووجد الانصار مواقعهما خالية ، وتأكد لدينا انهما قاما بسحب قواتهما الى الخلف ليلا ، ودون اي مقاومة ضد العدو .

٢ — كان حجم قطعات العدو كبيرا جدا ، وكانت معنويات انصارنا عالية جدا .

٣ — خسائرنا : ثلاثة جرحى ، وجراحهم طفيفة .

٤ — صمدنا في مواقعنا فوق ذرى جبل سولياوا ، خلال عشرين ساعة من القتال الشاق مع العدو ، وفشل هذا في احتلال مواقعنا ، ولكننا بسبب نفاد عتادنا اضطررنا على الانسحاب الى الخلف ، وتم هذا بالساعة الثامنة مساء ، ومررنا بقرية « ميرياس » ثم وصلنا الى قرية « استيل العليا » .

٥ — نحن الان في قرية « استيل العليا » ، وكل العتاد الموجود لدى كل نصير لا يزيد على خمس اطلاقات فقط . نرجو ، وبأسرع وقت ممكن ، ان تبعثوا الينا كميات كافية من اعتدة البنادق التالية :

الانكليزية . البرنو ، الروسية .

٦ — رجاء اخبرونا عن الموقف .

والى الامام
آمر سرية الانصار
العاشرة

آمر سرية الانصار
الرابعة

الرسالة الثانية

حرية كردستان او الموت

العدد/ف
التاريخ ٢٨—٨—١٩٦٩

الى / آمر لواء قره داغ المحترم
تحية حارة

لقد اعلمناكم في رسالتنا الاولى عن موقفنا في معارك سولياوا ، ونبين في هذه الرسالة راينا حول الموضوع .

١ — يجب اتخاذ الاجراءات العقابية تجاه آمري السرايا والمسؤولين الذين كانوا مثقلين بحمل الاسلحة لغرض الصيد ايام اليسر ، اما في ايام العسر والضيق فهم ينسحبون بدون اية مقاومة ، وحتى دون ان يخبروا القوى الموجودة في اطراف مواقعهم وحواليهم .

٢ — لقد حافظنا على مواقعنا بشكل جيد ، لدرجة ان العدو فشل في التقدم نحونا او احتلال مواقعنا ، وكانت المعارك حامية جدا ، ولو كان لدينا العتاد الكافي لما اجرينا انسحابنا قطعا ، ولكنا في مواقعنا هناك .

٣ — اخرج كل من م. ع. و ع. ج. قطعاته من مواقعها ، دون اية مقاومة ، وحتى دون ان يخبرونا بذلك . ولقد منعتنا جهاديتنا والتزامنا الوطني ان نترك مواقعنا

قبل ان نؤدي واجبنا كاملا .

٤ ــ نطلب منكم عقد مؤتمر للمسؤولين يحضره عريف حميد لوضع خطط جديدة في ضرب العدو . انه لمن العار ان يتمكن العدو من الوصول الى قره داغ ودون ان يلاقي في طريقه مقاومة تذكر ، فاين كانت قوى داري كه لي ؟ واين كانت قوى جبال صوله ؟ اين كان هؤلاء في الوقت الذي كان العدو فيه يسير بخطى السياح نحو قره داغ ؟ لقد سبق ان اوضحنا موقفنا ورأينا في بعض العناصر المسؤولة ، واعلمناكم ايضا الشيء الكثير عن ع. ا. ك. الذي انضم الان الى العدو ، من هو ؟ وماذا كان يعمل ؟ ولكن مع الاسف لم يكن لتحذيرنا وتشخيصنا لمثل هذه العناصر المشبوهة اي اثر او انتباه .

٥ ــ ان حجم قوات البيشمه ركه واسع وكبير في المنطقة ، ويجب علينا ان لا نقف مكتوفي الايدي ، فمن العار علينا جميعا ان نركض هلعا الى « قوبي » ونحمي مقر اللواء ، مثلما كان يفعل الجنود في عصر الملوك ، يوم كان احد الجيوش المتحاربة يصاب بالهزيمة ، فيهرع الى مقر ملكه ، وينشيء حوله سورا بشريا لحمايته ، وحماية نفسه ايضا .

٦ ــ نرجو ان تبعثوا الينا ، وباسرع وقت ممكن ، كميات كافية من اعتدة البنادق التالية :

الانكليزية ، البرنو ، الروسية .

٧ ــ نحن الان في قرية « استيل العليا » وننتظر وصول العتاد ، وبالطبع فنحن متعبون جدا ، لكن علينا ان نتعب انفسنا اكثر من اجل الشعب والواجب .

والى الامام

آمر سرية الانصار الرابعة

آمر سرية الانصار العاشرة

في عصر ذلك اليوم نفسه ، رجع الرفيقان ، وكانت معهما كميات من العتاد الذي طلبناه في رسالتينا ، ولم نتسلم من مقر اللواء اية رسالة جوابية . وقد اخبرنا الرفيقان « ان الانهيار يستولي على مسؤولي القوة ، وكانت آثاره واضحة تماما » .

النجاة من الابادة

بحصولنا على العتاد يوم ٢٨ــ٨ــ١٩٦٩ ، تمت لنا النجاة من ابادة محققة .

ففي الساعة السادسة مساء ، اي بعد ساعة ونصف من ايصال العتاد الينا ، هاجمنا العدو المتقدم نحو قريتنا . كان بالقرب منا تل عال ، فارسلت لاحتلاله ثمانية انصار يقودهم الرفيق كريم . وحين تخندق الانصار فوقه تأمن لنا موقع اسناد جيد . استمر تبادل اطلاق النيران ، وكنا نرى افراد العدو ، عن قرب ، وهم مختبئون خلف الصخور ، او وراء الاشجار ، وكلما وجدوا فرصة مناسبة بداوا الرمي السريع ، لكن ما ان نرد عليهم حتى تصمت اسلحتهم ويختبئوا ، ثانية ، وراء الحواجز .

استمرت المعركة حتى الساعة الثامنة ، ثم بدا العدو ينسحب الى الخلف ، وتوقف اطلاق النار كليا ، وساد المكان هدوء نسبي .

في تلك الليلة ، علم آمر سرية الانصار الرابعة ، ان قطعات اللواء قد انسحبت وتركتنا وحدنا في الميدان ، لذلك قال لي في الساعة التاسعة من الليلة نفسها « علينا تامين انسحابنا وابقاء احدى المفارز لكي تستطيع حمايتنا » . رفضت اقتراحه ، وعندها قال « اذن ساسحب سريتي ، واتوجه الى الخلف » . حاولت تاخير انسحاب سريته نصف ساعة فقط ، حتى ابلغ مفرزة التل بالانسحاب ، لكنه رفض ، واخرج سريته من القرية ، واضطررت الى تاخير انسحاب سريتنا حتى الساعة العاشرة ليلا ، اذ كان البدء بمسيرة الانسحاب متوقفا على عودة مفرزة الرفيق كريم والتحاقه بنا . مضى الوقت سريعا ، ولم تعد المفرزة . وفي الساعة العاشرة وخمس دقائق جمعت الانصار واخبرتهم بقرار الانسحاب ، ثم ارسلت رفيقين من اهل القرية لاخبار الرفيق كريم ، آمر مفرزة التل ، بطريق انسحابنا . حركت رتل سريتنا باتجاه قرية « مالياوا » ، واستطعنا ان ندرك في الطريق رتل السرية الرابعة ، وكان آمرها والنصير جبار قد تاخرا بحثا عن حيوان لركوب آمر السرية الذي كان عاجزا عن السير بعد المرض الذي الم به . ابقيت احد آمري فصائلنا مع رتل السرية الرابعة لمساعدتهم ريثما يلتحق آمرها .

في ٢٩ــ٨ــ١٩٦٩ ، تمكنا من عبور طريق « عربت ــ سيد صادق » فجرا ، وواصلنا المسير ، وحين مضى علينا قسط من النهار كنا قد ابتعدنا الى الخلف بمسيرة ست ساعات ، قطعناها في سبع ساعات ونصف ، بسبب الارهاق الشديد الذي كنا نعانيه . اخيرا وصلنا الى « مالياوا » ، وبعد استراحة قصيرة تحركنا ، ثانية ، الى « كيله ره » ، ثم ذهبت مع عدد من الانصار لمقابلة شيخ لطيف في « سيته ك » ، وقضينا معه بعض الوقت ، ثم عدنا لنمضي الليل عند شيخ محمد في قرية « كوركه به ر » . هناك التقيت بالرفيق نصر الدين وبقية الانصار ، وهم الذين رافقوا المدافع الى بنجوين يوم ١٨ــ٨ .

في صباح اليوم التالي ، عدت وبقية الرفاق الى « سيته ك » ، وبعد يومين ، التحق بنا ، بصورة فردية ، انصار مجموعة الرفيق كريم .

معارك قبل ١١ آذار ١٩٧٠

بسبب موقف سريتنا البطولي في معارك سولياوا ، وتثمينا لجراة الرفاق وبسالتهم ، كافأت قيادة الثورة ، سريتنا ، بمبلغ صغير (خمسين دينارا) ، وتسع بنادق ، وبندقية عاشرة اهديت لي شخصيا .

في الاسبوع الاول من ايلول قامت سريتنا بمسيرة الى جوارتا ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي تدخل فيها قوات حزبنا ، المنطقة . كانت جماهير القصبة تتلقانا بالترحيب الحار ، بينما كان الاقطاعيون والاغوات غير مرتاحين لوجودنا . بعد ثلاثة ايام ذهبت والرفيق نصر الدين الى بنجوين لتسلم البنادق العشر ، وبعد ان تسلمناها عاد بها الرفيق نصر الدين الى مقر السرية ، بينما ذهبت انا مع احد الانصار للمعالجة في « بالياوا » . بعد منتصف ايلول ارسلت قيادة الثورة عشر بنادق اخرى من نوع برنو الى سريتنا .

طيلة هذه الفترة كانت سريتنا متجحفلة مع اللوائين قره داغ وخه بات . وكان لواء رزكاري انذاك يسيطر على سلسلة جبال دوكان ، وكانت القوات المعادية جاثمة في مواقعها فوق جبل كويزه وقه يوان شمال السليمانية .

في اواخر ايلول كنا في قرية « بايزاوة » ، وكانت هذه محاطة من ثلاث جهات بالجبال . اما الجهة الرابعة فهي مفتوحة على منطقة سهلية واسعة . وكان للعدو عدد من المواضع فوق قمة قريبة من القرية . في الساعة العاشرة ليلا من يوم ٢٩—٩ ارتفعت في الجو اطلاقات تنوير فوق قمة الجبل الى يمين القرية . حافظنا ، تلك الليلة ، على هدوئنا ويقظتنا ، وشددنا الحراسة ، وقررنا ايضا مغادرة القرية فجرا ، والانسحاب الى الغابة التي تبعد حوالي مائتي يارد الى الجنوب من « بايزاوه » .

وفي الساعة الرابعة صباحا نفذنا انسحابنا ، وحفرنا مواضع جيدة وسط الاشجار الكثيفة . في الساعة السابعة صباحا هبط السفح المقابل قرابة اربعين مسلحا ، فادخلت الانصار في مواضعهم ، وتهيأ الجميع للمعركة المقبلة . في هذه الاثناء ارسل آمر سرية البيشمه ركه القريبة منا ، احد الانصار ، للتأكد من هوية المسلحين . لقد كانت احدى سرايانا العائدة من واجب الحراسة فوق الجبل .

في اليوم نفسه ، قرر اللواء شن هجوم على العدو ، وطرده من مواقعه فوق القمة الجنوبية .

في الساعة الرابعة عصرا ، بدأت سريتنا بيشمه ركه ، بقيادة العريف حميد ، تتقدمان نحو السفوح ، ثم تسلق الانصار المرتفع ، وشرعوا يصعدون ، الخطوة بعد الخطوة ، وهم يقاتلون صاعدين نحو القمة . رغم نيران العدو المنصبة من الاعلى . بعد مرور ساعة انهارت معنويات العدو . فترك افراده مواقعهم هاربين ، وخلفوا وراءهم قتيلين . اما دور رفاقنا في المعركة ، فكان قيام احد فصائلنا بقيادة الرفيق نصر الدين ، مع فصيل اخر من السرية الرابعة الشقيقة ، باسناد هجوم سريتي البيشمه ركه .

في الليلة نفسها ، وفي الساعة السادسة من يوم ٣٠—٩ بدأ هجوم عدد من سرايا البيشمه ركه على مواضع العدو فوق جبل « قه يوان » . استمر القتال ست ساعات . وفي منتصف الليل تماما ، ثم دحر العدو ، فأخلى مواضعه ، وانسحب باتجاه معسكره في السليمانية ، وكان احد فصائلنا الموجود خلف « بايزاوه وموكه به » قد ساهم في المعركة ، وقام باسناد سرايا البيشمه ركه عند قيامها بالهجوم .

في الاول من تشرين الاول انتقل مقر سريتنا الى « كاريزه » ، وتسلمنا هناك رسالة من الملازم طاهر ، آمر القوة ، طلب فيها ان نذهب الى « بالخ » . تأخرنا بعض الوقت اذ كنا ننتظر نزول احد فصائلنا من الجبل ، وحين التحق بنا الرفاق تركنا كاريزه ، متجهين الى بالخ ، ثم الى « كه وره وي » . حلقت الطائرات المعادية ثلاث مرات فوق المنطقة . عندما وصلنا الى القرية الاخيرة مكثنا فيها بعض الوقت ، للراحة ، ثم استأنفنا السير نحو « هه لدن » فبلغناها بعد مسيرة خمس ساعات . قبل يوم واحد فقط ، كان العدو قد طرد من هه لدن في معركة حامية خاضتها قطعات البيشمه ركه وكبدته فيها اربعة قتلى . في اليوم الاول من تشرين الاول بالذات خاضت قطعات البيشمه ركه ، معارك دموية ، ضد العدو الموجود فوق سلسلة

الجبال في طاق « سه ركه لو » ، واجبرته على ترك مواقعه ، والانسحاب الى الخلف، وكبدته خسائر عديدة ، لكن العدو قبل ان يترك قرية « سه ركه لو » قتل رميا بالرصاص خمسة من البيشمه ركه الذين وقعوا اسرى في معركة الاول من تشرين الاول .

في يوم ٢ــ١٠ ذهبت الى « سه ركه لو » وقابلت رشيد سندي ، آمر قطعات البيشمه ركه الاحتياطية . وعدت ليلا الى قرية « هه لدن » ، وبعد يوم واحد دخلت قواتنا قرية « ياخ سه ر » ، وقضينا الليل فيها . في اليوم التالي خصصت لنا جبهة على قمة الجبل خلف قرية « جوح ماخه » . بقينا في مواضعنا فوق جبل بيركه حوالي اسبوعين ، وبعد ذلك قرر اللواء شن هجوم على العدو في منطقة « شاره زور » . كانت خطة الهجوم تتضمن تقدم ثلاثة ارتال بيشمه ركه ، من ثلاث جهات من السهل . وكان دور سريتنا اسناد القوى المهاجمة .

ليلة ١٩ــ١٠ اخترقت قطعات البيشمه ركه سهل شاره زور ، مبتدئة هجومها، ثم اشتبكت بالقوات المعادية في معارك حامية استمرت عدة ساعات . وفي النهاية انسحبت قوات البيشمه ركه بسلام .

في الساعة الثانية بعد منتصف الليل من يوم ٢٠ــ١٠ ، وبعد ان انتهى واجب سريتنا في الجبهة ، عدنا الى قرية « بوشتى » ، وكان التعب والبرد قد اثرا في الانصار تاثيرا واضحا . لكن بعد يوم واحد فقط وردتنا برقية مستعجلة امرنا فيها اللواء بالحركة نحو برزنجه . قدت رتل سريتنا الى هناك ، لكننا لم نبق فيها طويلا ، فقد جاءنا امر اخر بالحركة الى جوارتا ، وبعد ثلاثة ايام انتقلنا الى قرية « كوره ديم » ، وفي يوم ٢٥ــ١٠ ، الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، تحركت قطعات الجيش مع اعداد كبيرة من المرتزقة ، باتجاه جوارتا ، وبعد ان احتل العدو « قه يوان » واصلت وحداته الزحف نحو « ماوت » ، وبعد ذلك اسس العدو له معسكرا في « بازه كير » ، وبدات مدفعيته توجه قنابلنا نحو جوارتا ، وبعد ذلك القصف المتوالي الشديد ترك سكان القضاء بلدتهم ، هاربين الى الاماكن النائية الامنة .

تحركت سريتنا ليلة ٢٦ــ١٠ ، الساعة السادسة والنصف مساء ، نحو « سنكي » ، وكان الغرض من ذلك التصدي للعدو في تلك الجبهة ، ومنعه من التغلغل ، وصلنا قرية « سنكي » فجر ٢٧ــ١٠ ، ثم بقينا فيها النهار كاملا ، وتحركنا ليلا نحو « شمس آوا » ، وابتعدنا مسيرة ثلاث ساعات عن « واشره » جنوب جوارتا . في الساعة الثامنة ليلا ، وبينما كنا نسلك الطريق ، بدات مدفعية العدو في معسكر « بازه كير » تقصف المنطقة قصفا شديدا ، لمدة نصف ساعة ، ردا على قصف مدفعية الثورة لهذا المعسكر ، من منطقة قريبة . خلال هذه الدقائق الثلاثين تعرضنا لاخطار مميتة . كانت القنابل تتساقط وتنفجر قرب رتلنا . كنا نجازف بحياتنا ، لكننا تابعنا مسيرتنا حتى خرجنا من المنطقة المضروبة . حين اقتربنا من قرية « شمس آوا » وجدنا قطعات العدو قد سبقتنا ، فاحتلتها ، وبنت مواضع حولها . وكان احد هذه المواضع يبعد عن مركز القرية بستمائة يارد . ارسلنا مفرزة من اثني عشر نصيرا لضرب ذلك الموضع . تقدم الانصار نحوه واطلقوا نيرانهم ، ورد العدو بالمثل . وعندما عادت الينا مفرزتنا ، رجعنا الى قرية « مي كوكان » .

في يوم ٢٨ــ١٠ عقد آمر اللواء اجتماعا لامري السرايا في قرية « واثره » وصلت الى الاجتماع متاخرا ، لكني تسلمت مهمات سريتنا ، وعدت الى السرية ، ثم قدت الانصار الى مكاننا في الجبهة .

ليلة ٢٨ــ١٠ حفر انصارنا مواضعهم بعناية ، لكن امطارا غزيرة هطلت فحولت الارض طينا . كانت مع كل نصير بطانية واحدة .

مواقع العدو تبعد عنا حوالي مائتي يارد .

بقينا في مواضعنا حتى اليوم الاول من تشرين الثاني ، ففي هذا اليوم انسحبت، تحت ضغط البيشمه ركه وهجماتها ، جميع وحدات الجيش الموجودة في « سيره ميرك » وامام « ازمر » ، الى السليمانية ، واستطاعت سرايا البيشمه ركه ، ورفاقنا في المقدمة ، طرد العدو من الربايا والمواضع الموجودة على جبل « ته يوان » ، وكبدته خسائر فادحة في الارواح ، بينما كانت اصابات جميع قطعات البيشمه ركه ثلاثة جرحى فقط . في ٣ــ١١ عادت قواتنا الى جوارتا ، ثم تحركنا ثانية باتجاه بنجوين ، وكانت قطعات العدو قد اختفت من هذه المناطق ، بعد ان انسحبت الى السليمانية .

في ١٤ــ١١ وصلت الى بنجوين قبل الرفاق ، حيث كان من المقرر ان اذهب مع الملازم طاهر الى مقر قيادة الثورة الكردية في كلاله .

بقي الرفاق يتجولون في منطقة بنجوين حتى ١ــ٢ــ١٩٧٠ ، وبعد هذا التاريخ تحركوا باتجاه جوارتا وبرزنجه . وفي ٩ــ٢ عدت بدوري الى بنجوين ، وبعد ان تضيت في هذه المدينة يوما واحدا غادرتها باتجاه برزنجة ، للالتحاق بالسرية . بعد يوم واحد وصلت الى « خرابة » ، وكان الرفاق هناك . في يوم وصولي الى «خرابه» دخل احد فصائلنا المتجحفل مع الفوج التاسع بيشمه ركه في معركة دفاعية بالقرب من قرية « جوارتا » ، وكان العدو قد تقدم نحوهم من « عربد » . استمرت المعركة ساعة واحدة ، ثم انسحبت بعدها قطعاتنا الى قمم الجبال القريبة من « جوارتان » .

كانت اوامر قيادة الثورة الكردية ، المرسلة الى آمري وحدات البيشمه ركه ، تنص صراحة ، في تلك الايام ، على « عدم الاشتباك مع العدو بمعارك حاسمة ، طالما ان المفاوضات جارية مع السلطة من اجل احلال السلام في كردستان » .

لذلك قامت جميع سرايا البيشمه ركه بالانسحاب الى « جوارتا » من جديد .

صادفت ليلة ١٨ــ٢ اليوم الثالث من عيد الاضحى ، تلك الليلة تحركت سريتنا الى « كوره ديم » باتجاه قره داغ ، وكانت قطعات اللواء الاخرى قد انتقلت الى هذه القصبة ، حدث هذا بعد ان سحب العدو قطعاته من المنطقة بدون مقاومة ، وذلك بسبب المفاوضات الدائرة بين السلطة وقيادة الثورة الكردية .

الهدوء يعم الجبهات جميعا .

ليلة ١١ــ٣ــ١٩٧٠ ، كنا في قرية « به لخه » .

تلك الليلة اعلن من اذاعة بغداد بيان الحادي عشر من آذار .